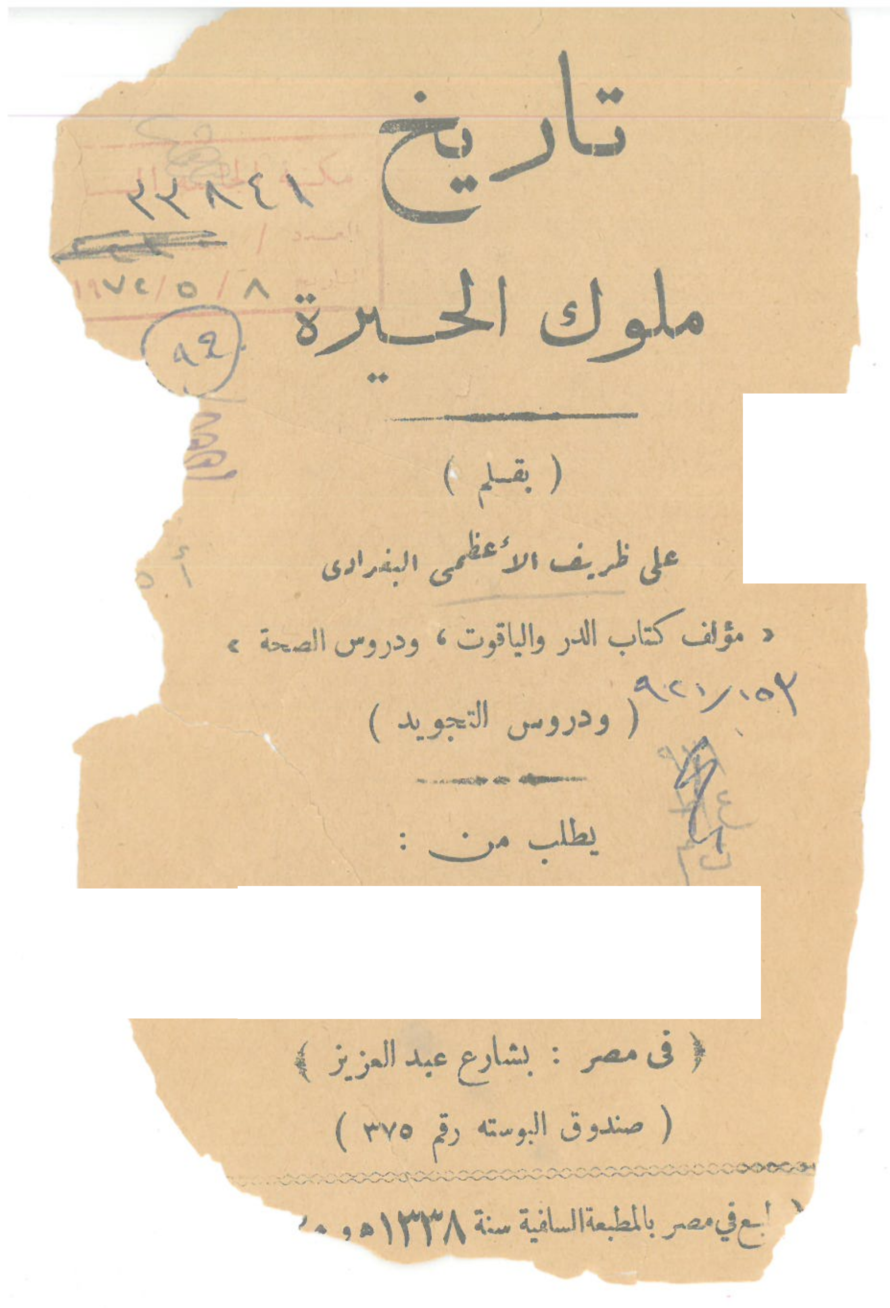


تاريخ

ملوك الحيرة

(بقلم)

على ظريف الأعظمى البغدادى

« مؤلف كتاب الدر والياقوت ، ودروس الصحة »

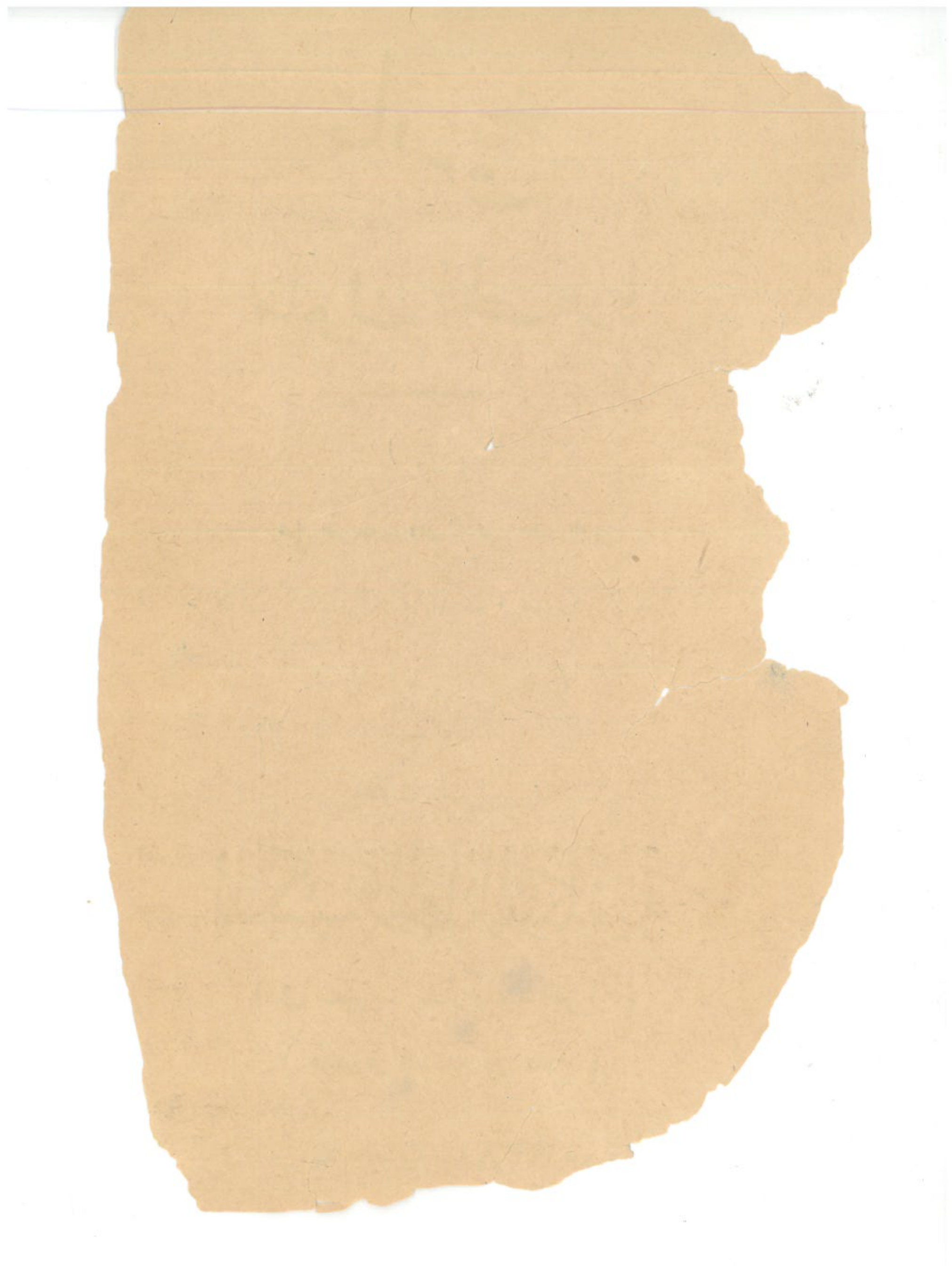
(ودروس التجويد)

يطلب من :

﴿ فى مصر : بشارع عبد العزيز ﴾

(صندوق البوسته رقم ٣٧٥)

بع في مصر بالمطبعة السلفية سنة ١٣٣٨ھ و



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتصرف فى ملكه بما شاء على من يشاء . القائم بتدبير العالم من الابتداء الى الانتهاء . بنى الكرة الارضية فأحكم بناءها . وزين بالكواكب النيرة سماءها وكساها ثوب البهاء واكاليل الجمال . فأصبحت فتنة للعاشقين مر الايام والاجيال ، أسكنها البشر وسن لهم النظامات فكانوا شعوباً وقبائل ومللا وحكومات . ثم غرز فى طبائعهم حب الترفع والجدال . فأصبحت ميداناً واسعاً للمكافحة والنضال . تتسابق فيها خيل الاقوياء وتستعبد فيها البسطاء والضعفاء : غير ان امرها قلب وبروقها خلب . صعود فهبوط . فصياح فقنوط . وسعادة فشقاء وراحة فعناء . سيد ثم صعلوك وملك ثم مملوك (ولا يدوم على حال لها شان)

والصلاة والسلام على سيدنا محمد جامع شتات العرب بعد تفرقها ورائب حلة عصبتهم بعد تخرقها وعلى آله الاطهار والاصحاب والانصار

أما بعد فان التاريخ من أهم العلوم العصرية . وأجل الفنون السائرة الفطرية . يشخص للناظرين حوادث العصور الغابرة . ويظهر للمفكرين أسراراً بين سطوره الناظرة . يستمد منه الاديب . ويستند اليه السياسي الاريب . لاسيما تاريخ العرب ذوى الشهامة والنسب . فانه يشغل من تاريخ العالم فصولا مهمة . تتلألأ درارى مناقبه فى سماء العصور المدلهمة . وقد صنفت فيه التصانيف ووضعت فيه التآليف . غير انى لم اعثر على اثر يجمع تاريخ ملوك الحيرة بصورة توافق العصر . بل بقيت حوادثهم مبعثرة بين اطلال الخورنق ودمية القصر [1] وقد رأيت كثرة الراغبين من اخوانى العراقيين الى استطلاع اخبارهم واستنطاق ربوعهم وآثارهم

---

(١) الدمية الصورة المنحوته من العاج او الرخام

قدار فى خلدى ان اجمع فى ذلك تأليفا طبقا للمراد . غير
انى كنت أحجم عن ذلك لقلة موارد الاستمداد. خصوصا
وان ديارهم بكر حتى اليوم وسلعة لم يوجه اليها نظر ولا
سوم . لم تمسها يد المكتشفين ولا لعبت فى رحبها معاول
المنقبين . ولكن تفكرت فى المثل السائر مالا يدرك جله
لايترك كله . فشجعت قلمى على صوغ هذه الوضيعة ملتمساً
من الناظرين العذر فان العمل على قدر الاستطاعة والله
الموفق للصواب



ملوك الحيرة

من سنة ١٣٨ — سنة ٦٣٢ م

(تمهيد) اول من اسس هـذه الدولة فى العراق آل تنوخ ثم انتقل الملك منهم الى بني لخم وكلاهما من بنى قحطان وبما انها تحولت من سلالة الى أخرى جعلت لها دورين دور التنوخيين ودور اللخميين

دور التنوخيين

من سنة ١٣٨ — سنة ٢٦٨ م

التنوخيون هم الذين أسسوا هذه الدولة وهم من قضاعة وقضاعة فرع كبير من القحطانيين . هاجروا من اليمن مع من هاجر بعد سيل العرم (١) فى اوائل القرن الثانى

---

(١) العرم سد عظيم كان بجوار مدينة مأرب بأرض اليمن يعرف بسد مأرب بناه ملوك اليمن قديما بحجارة ضخمة متمسكة بالقار بين جبلين ليعترض سير المياه فى أوان السيل ويجتمع خلفه وفيه خروق يعرفون منها الماء على قدر مايحتاجون اليه فى سقيهم

للميلاد ونزلوا البحرين وزعيمهم يومئـذ مالك بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن لحاف بن قضاعة ، وقضـاعة من ولد يعرب بن قحطان الذى ملك قبـل المسيح بنحو الفى سـنة وهو أول ملك من التبابعـة ملوك اليمن ، ولما نزل بنو قضاعـة بالبحرين نزل معهم الأزد مهاجرين ايضا وزعيمهم مالك بن فهم بن غانم من بنى الازد والتفت حولهم القبائل اليمانية من بطون نمارة بن لخم وغيرهم من بنى قحطان ووافق خروج هـذه

وكانت له حفظة يقومون بتعهده وتوزيع مياهه العظيمة . فلما ضعف أمر دولتهم واختل نظامها اهمل امر السد وقلت المحافظة عليـه فظهر به الخطر أولا فأول وتصدع ثم انفجر بغتـه وطافت مياهه على ما جاوره من البـلاد والقرى فاغرقت بعضـهم ونجا آخرون فقل سبيل الناس الى الاستسقاء فاخذوا يهاجرون لطلب الرزق وتفرقوا فى البلاد ومنهم عرب العراق والشام. وكلهم من بنى كهلان بن سـبا من القحطانيين . وسمى ذلك سيل العرم وضرب بتفرقهم المثل فقيل تفرقوا ايدى سبا . وقد أكثر الشعراء من القصائد فى هذه الحادثه ولا محل لذكرها هنا

القبائل القحطانية من اليمن خروج قبائل من ولد اسماعيل بن تهامه فرقتهم حروب حدثت بينهم فتفرقوا فى البلاد وجاء بعضهم الى البحرين أيضا وانضموا الى اليمانيين . ولما اجتمعوا بالبحرين اتفق الزعيمان (زعيم قضاعة وزعيم الازد) على التعاضد والتناصر والتعاون والتوازر وصاروا يداً واحدة وتحالفوا على التنوخ (أى المقام)فسموا تنوخا من ذلك الحين . وكانوا بذلك الاسم كأنهم عمارة من العمائر وقبيلة من القبائل وصار الجميع يعرفون كالقبيلة الواحدة وان كانوا من قبائل شتى وضمهم اسم تنوخ

وكان ذلك فى ايام الدولة الارشكانية التي ملكت العراق بعد السلوقيين ولم تمض برهة من الزمن حتى اضطرب أمر الدولة الارشكانية (١) واختلفت كلمة رجالها وضعف

---

(١) وتسمى الدولة الاشكانية او الاشغانية واول ملوكها ارشك بن اشكان (وقيل بن اشغان) وآخرهم اردوان الاصغر بن بلاش الذي قتله اردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية سنة ٢٢٢ م وقد ملكت هذه الدولة العراق وفارس اربعمائة سنة تقريبا

امرها فطمعت قضاعة فى بلاد العراق واغتنموا الفرصة من الاختلال والشقاق فأجمعوا على المسير فسار مالك بن فهم زعيم قضاعة بقبائله وانفصل عن الازد وغيرهم ونزل العراق فيما بين الحيرة والانبار وشارك الدولة الارشكانية فى الحكم وتسمى ملكا على قومه . وظل اسم تنوخ عليهم فكانوا يسمونه ملك تنوخ . وقد أخطأ من زعم انه من الازد كما أخطأ الذين زعموا بأن قضاعة من العدنانيين

مالك بن فهم

من سنة ١٣٨ — سنة ١٥٨ م

ولما استقر أمر مالك فى العراق أتخذ بستانا فى موقع

وتعرف بدوله البرثيين او البرت أيضا . وملوك هذه الدولة هم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس ولهم عدة وقائع مع السلوقيين وارشك هذا هو الذى قتل انطيوخس السلوقى سنة ١٢٩ قبل الميلاد فى غربى ايران واستولي على بلاد ايران والعراق ودمر مدينة سلوقية عاصمة السلوقيين فى العراق . وفى رواية ان انقراض الدولة السلوقية من العراق كان سنة ٨٦ قبل الميلاد وقيل سنة ١٧٤ قبل الميلاد

الحيرة وجعل فيها قصره وحصنه وأقطع رجاله الاقطاع.
(وعلى توالى الايام بنيت فيها المنازل والقصور حتى صارت من المدن الشهيرة وسيأتي وصفها في محله)

وكان مالك لا يدين لأحد من الملوك مطاع الأمر نافذ الحكم فى رعيته ملك عشرين سنة ومات قتيلا بأصابة رمية رماها أحد أخصائه ليلا فلما تبين ان راميها احد اخصائه المتربين بنعمته يسمى سلمة بن مالك أنشأ يقول:

خبراني لا جزاه الله خيرا سليمة انه شراً جزانى
اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى
فياعجبا لمن ربيت طفلا القمه باطراف البنان

وهو أول من ملك قضاعة فى العراق ومؤسس هذه الدولة وتسمى دولته دولة آل تنوخ

ولهذه الدولة شأن فى تاريخ العرب قبل الاسلام لانها مهدت السبل لدولة اللخميين وقد اقامت هذه الدولة مدة على حالها من البداوة تسكن المظال وخيم الشعر والوبر ولا تنزل بيوت المدر وكانوا يسمون عرب الضاحية .

والظاهر ان نزوله فى العراق وتملكه كان سنة ١٣٨ م حيث ان المؤرخين ذكروا بان جذيمة الوضاح تولى سنة ٢٠٨ م وان عمرو بن فهم ملك قبله خمسين سنة وان مالك بن فهم ملك قبله عشرين سنة فكان اول تملك مالك هذا سنة ١٣٨ م على ما ارى

عمرو بن فهم

من سنة ~~١٨٨~~ ١٥٨ الى سنة ٢٠٨ م

تولى الامر عمرو بن فهم بعد قتل اخيه مالك وسار بقومه سيرة حسنة وهابته قبائل العراق العربية وحكم ٥٠ سنة وكان منزله منزل أخيه ومات سنة ٢٠٨ م

جذيمة الوضاح

من سنة ٢٠٨ الى سنة ٢٦٨ م

لما مات عمرو بن فهم تولى الملك بعده ابن اخيه جذيمة الوضاح [١] بن مالك بن فهم . ويسمى جذيمه

(١) جذيمه بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة

التنوخى وجذيمه الابرش وجذيمه الوضاح . وكان به برص وكانت العرب لاتنسبه اليه اعظاما واجلالا فكانوا يسمونه جذيمه الوضاح وجذيمة الابرش كناية عنه . وكان جذيمه يفتخر ببرصه لان بعض العرب كان يسموه بالبرص وكانوا يزعمون انه لايكون الا بالرجل الكريم

وكان جذيمه ملكا عظيما ثاقب الرأى ذا شوكة وبأس وله هيبة وسطوة وكان افضل ملوك العرب رأياً واثبتهم جأشاوأشدهم نكاية واظهرهم حزما واعظمهم شأنا واكثرهم سطوة . وكان اعز من ابيه وعمه وابعد صيتا واعظم شرفا اشتهر عند العرب بالتسمية بملك العراق وقصده الامراء ومدحه الشعراء ووفدت اليه الوفود. وكان يتكهن ويتنبى بزعمه وكان شاعرا بليغا ومن شعره :

والملك كان لذى برا   ش حوله يزرى بحابر
بالسابغات وبالقنا   والبيض تبرق والمغافر
أزمان لاملك بحير   ولا زمام لمن يجاور
أودى بهم غير الزما   ن فنجد منهم وغائر

وهو أول من اجتمع له الملك بأرض العراق وضم اليه العرب وغزا بالجيوش المنظمة واول من جذبت له البغال ورفع بين يديه الشمع واول من عمل له المجانيق للحرب من ملوك العرب

أخضع لحكمه قبائل العراق العربية وملك ما بين الحيرة والانبار والرقة وعين التمر والقطقطانية وبقة وهيت وسائر القرى المجاورة لبادية العراق . وأطراف البر الى العمير وحفيـة وبيرين وما وراء ذلك . فكان يجبى أموالها ويحكم على من كان بها . وكان من تجبره بادئ أمره لا ينادم أحدا من الناس وكان يزعم ان الفرقدين نديماه فكان اذا شرب قدحا صب لهما قدحـين . ثم اتخذ مالكا وعقيلا ابني فارج و قيـل فالح بن مالك بن كعب بن القين بن جبير بن سبع الله ابن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة نديمين له وسيأتى تفصيل ذلك . وبهما يضرب المثل فيقال كندمانى جذيمة . وقال متمم بن وبرة يرثى أخاه

وكنا كندمانى جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا　　لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وكان لجذيمة صنمان يقال لهما الضيزنان لانه كان على دين الوثنية كآبائه وقومه وغزا طسما وجديسا فى منازلهما باليمامة وفى ذلك يقول الشاعر:

أضحى جذيمة فى الانبار منزله　　قد حاز ما جمعت فى عصرها عاد

مستعمل الخير لا تفنى زيادته　　فى كل يوم وأهل الخير تزداد

وكان لا يدين لاحد من الملوك كابيه وعمه. فلما قام أردشير بن بابك وأسس الدولة الساسانية وقهر ملوك الطوائف ببلاد ايران وقتل اردوان الاصغر آخر ملوك الارشكانيين فى العراق واستقل بالبلاد ومن جملتها العراق سنة ٢٢٦ م دان له جذيمة واتفق معه على شروط رضياها. فكره كثير من تنوخ أن يدينوا للفرس فهاجروا من العراق الى الشام وانضموا الى من هناك من قضاعة والأزد وكان جذيمة قد جمع غلمانا من أبناء أمراء العرب يخدمونه منهم عدى بن نصر بن ربيعة من ولد لخم بن عمرو بن سبا وكان متقلدا سقاية جذيمة وخدمة مجلس أنسه وشرابه وينقل ان

جذيمة قال ذات يوم لندمائه لقد ذكر لى غلام من لخم فى أخواله من بنى أياد له ظرف وأدب فلو بعثت اليه ووليته كاسى والقيام على رأسى لكان الرأى فقالوا الرأى ماراه الملك فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال من أنت قال أنا عدى بن نصر فولاه مجلسه وكان جميلا فعشقته رقاش أخت جذيمه وهويها هو أيضا فاتفقت معه رقاش على أن يخطبها من أخيها حال سكره وأن يشهد عليه جلسائه . فلما سقى عدى وسكر جذيمة تملق له عدى فقال له جذيمة سلنى ماأحببت قال زوجنى أختك رقاش قال قد فعلت وأذنت لك.وأشهد القوم عليه فعلمت رقاش انه سينكر ذلك اذا أفاق فقالت لعدى ادخل علىّ ففعل . فلما أصبح جذيمة وعلم بذلك عظم عليه الامر نخاف عدى من القتل فهرب ولحق بقومه وقيل بل قتله وحبلت رقاش من تلك الليلة فلما ظهر حملها قال لها جذيمة :

حدثينى رقاش لاتكذبينى ... أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد وأنت أهل لعبد ... أم بدون وأنت أهل لدون

فقالت بل من خيار العرب ثم أنشدت :

أنت زوجتنى وما كنت أدرى   وأتانى النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا   وتماديك فى الصبا والمجون

فنقلها جذيمة الى قصره وحصنها فيه وجاءت بولد سمته عمرا وتبناه جذيمة فلما ترعرع حبه حبا شديداً وألبسه طوقا من ذهب وزينه بالحلى اذ لم يكن لجذيمة بنين . وقبل أن يشب الغلام فقد من بينهم فضرب له فى الآفاق فلم يظفر به ثم وجده رجلان من قضاعة وهما مالك وأخوه عقيل وقيل فارح ابنا فالح وهما يريدان الملك بهدية وجداه بوادى سماوة فحملاه الى جذيمة ففرح به فرحا شديدا وضمه اليه وبالغ فى اكرام مالك وعقيل وقال لهما اطلبا ماشئتما فطلبا منادمته مدة حياتهما وحياته فنادماه أربعين سنة فى رواية وكانا لا يعيدان عليه حديثا . وهما اللذان يضرب بهما المثل وقد مر ذكر ذلك

والظاهر ان الغلام اختطفه أحد اللصوص طمعاً بما عليه من الحلى أو ان أباه أو أحد رجال قبيلته اختطفه ليبقيه

عندهم فلما رأوا تشديد جذيمه فى أمره خافوا العاقبة فتركوه فى الطريق المؤدى الى الحيرة فوجـداه مالك وعقيل وهما قاصدان الحيرة التماسا لـكرم جـذيمة فعرفاه وحملاه الى جذيمة وما قيـل من أن الجن اختطفته فلا صحة له اذ هى قصة خرافية كغيرها من الخرافات التى تتداول حتى الآن على ألسنة العامة

وكان جذيمة كثير الغزوات موفقاً منصورا وكان بينه وبين عمرو بن الظرب بن حسان العمليقى [1] ملك الجزيرة ومشارف الشام عداوة عظيمة سببت بينهما حروبا كثيرة دامت أعواما وأخيرا انتصر جذيمة ودارت الدائرة على عمرو

---

(١) نسبة الي العمالقة : والعمالقة طائفة كبيرة من العرب القدماء وكانت لهم دولتان احداهما فى مصر والاخرى فى العراق. واصل اسم العمالقة (ماليق) فزاد عليها اليهود عم اى الامة فصارت عم ماليق فجعلتها العرب عماليق او عمالقة وكان مقر هذه الطائفة قديما فى شمال العقبة .

ابن الظرب فقتل وملك بعد عمرو ابنته الزباء وتدعى نائلة[1] وكانت عاقلة ذات أدب ودهاء وحزم وجمال مفرط فلما تم أمرها عزمت على أخذ ثار أبيها فعملت الفكره فى هلاك جذيمة فرأت أن تستعمل معه الحيلة بدلا من الحرب فكاتبته على الصلح فأجابها وظلت تكاتبه وتوادده وتهاديه حتى انخدع وظنها قد نسيت الثار أو خافت منه فلما كانت سنة ٢٦٨ م أرسلت اليه تدعوه الى نفسها وملكها وكتبت اليه (انها لم تجد ملك النساء الا قبيحا في السماع وضعفا فى السلطان وانها لاقدرة لها على تدبير الملك وانها لم تجد كفؤا لها ولملكها غيره وقد أحبت أن تتزوج به وتضم ملكها الى ملكه) فلما وصل الكتاب اليه وكان وقتئذ ببقة جمع اليه وجوه مملكته

---

(١) وتسمى الفارعة ويسميها بعضهم هند، وسميت الزباء لطول شعرها وينقل انها كانت اذا مشت سحبت شعرها وراءها واذا نشرته جللها ولم ير فى نساء زمانها اجمل منها .

ويضرب بها المثل فى العزة فيقولون لمن ارادوا المبالغة فى « أعز من الزباء .

واستشارهم فأجمع رأيهم على أن يسير اليها ويس
ملكها . فعزم جذيمة على الذهاب فخالفهم وزيره قص
سعد اللخمى وقال أيها الملك رأى فاتر وعدو حاضر وا
لمكيدة وخدعة والرأى عندي أن تكتب اليها فان كانت
صادقة تحضر اليك والا فلا تمكنها من نفسك وقد وترتها
وقتلت أباها . فلم يوافق جذيمة لانه قد اغتر بودها وانخدع
برسائلها . فدعا ابن أخته عمرو بن عدى واستخلفه على بلاده
وسار فى وجوه مملكته وأخذ معه وزيره قصيراً فلما نزلوا
الفرصة قال جذيمة لقصير ما الرأى قال ببقة تركت الرأى .
ولما قرب جذيمة من الزباء استقبلته رسلها بالهدايا الثمينة
والالطاف فاستر لذلك وقال ياقصير ماترى ، قال خطر يسير
وخطب كبير (١) وستلقاك الخيول فان سارت أمامك فالمرأة
صادقة وان أخذت جنبيك وأحاطت بك فان القوم غادرون
فلقيته الكتائب وأحاطت به من كل جانب وغدروا به وقتلوه

---

(١) المثل المعروف هو كذا : « خطب يسير فى خطب كبير »

…معه ونجا قصيراً هارباً وقدم الى عمرو بن عدى وأخبره
…وقعة الحال

وبقتل جذيمة انتقل الملك من (بنى قضاعة) الى آل
لخم اذ لم يكن لجذيمة ولد يرث الملك فصار الامر لابن أخته
عمرو بن عدى اللخمي وكان جذيمة قد عهد له بذلك . وحكم
جذيمة ستين سنة . وكانت مدة قضاعة ١٣٠ سنة من سنة
١٣٨ الى سنة ٢٦٨ م ولم يملك منهم غير هؤلاء الثلاثة مالك بن
فهم ، وعمرو بن فهم ، وجذيمة بن مالك .

دور اللخميين

من سنة ٢٦٨ الى سنة ٦٣٢ م

(تمهيد) تقدم ان قضاعة واللخميين من سلالة واحدة
فى الاصل اذ كلهم من بنى قحطان . ولما قتل جذيمة التنوخي
وكان قد عهد بالملك لابن أخته عمرو بن عدى اللخمى انتقل
الملك من قضاعة الى آل لخم .

وأول من ملك من بني لخم عمرو هذا وهو ابن عدى ابن نصر بن ربيعة من بنى لخم بن عدى بن عمرو بن كهلان. وهو جد هذه الدولة وتسمى هذه الدولة دولة آل لخم ودولة آل نصر [1] أو آل عمرو بن عدي أو ملوك الحيرة أو المناذرة على السواء. وقد سموا بالمناذرة (جمع المنذر) لكثرة تسميتهم بالمنذر.

٤ عمرو الاول

من سنة ٢٦٨ الى سنة ٢٨٨ م

هو عمرو بن عدى اللخمي وقد تولى الملك بعد قتل خاله جذيمة واستبقى قصيراً على الوزارة فأخذ قصير يستحثه على أخذ الثار من الزباء قاتلة خاله فقال عمرو كيف لى بها وهي أمنع من عقاب الجو. فقال قصير انى سأدبر لك الحيلة فقال افعل ما بدالك. فجدع قصيراً نفه وقال لعمرو اضربنى بالسياط

---

(١) آل نصر فرع من لخم

حتى تؤثر فى بدنى . ففعل . وخرج قصير كأنه هارب بحالة يرثى لها حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيراً بالباب . فأمرت به فادخل عليها فاذا أنفه قد جدع وعلى بدنه أثر السياط ، فقالت ما الذى أرى بك يا قصير فقال زعم عمرو انى غدرت بخاله وزينت له المسير اليك ففعل بى ما ترين فاقبلت اليك ، فانخدعت الزباء لما رأت من حاله وبلائه . فاكرمته وأنعمت عليه وأمنت اليه وقربته حتى صار بعد أيام من أخصائها ونال عندها منزلة عظمى

ولما تحقق قصير منزلته عندها طلب منها أن ترسله الى بلاد الحجاز للتجارة وقال لها دعينى أذهب وأحمل لك معى من طرائف تلك البلاد وصنوف ما يكون بها من التجارات فتصيبين أرباحا وأموالا لا غنى للملوك عنها . فأرسلته وزودته بأموال كثيرة للمتاجرة

فأتى قصير عمراً وأخذ منه ضعف المال الذى معه واشترى

به خزاً وديباجاً وزبرجداً وياقوتا . وأتى به اليها بعد أيام فتمكن منها وارتفعت منزلته عندها وسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له خذ ما أحببت منها . فأخذ شيئاً كثيراً للاتجار مرة أخرى وأبطأ عليها أياما

فجاء الى عمرو وقال له قد عملت ما عليّ وبقى ما عليك ، قال ماهو قال الرجال بالصناديق فانتخب عمرو من فرسانه الف رجل وألبسهم السلاح وأخذ معه الف صندوق وخمسمائة بعير (وقيل الف بعير) وصاروا حتى اقتربوا من مدينة الزباء فأمر عمرو أصحابه فتأهبوا بسلاحهم ودخلوا الصناديق ودخل هو أيضاً وأقفلوها من داخل ووضعت الخدام الصناديق على الجمال وربطوها بالحبال حتى لايشك كل من يراها أنها قافلة ثم سبقهم قصير الى المدينة وكانت الشمس قد مالت الى المغيب فدخل على الزباء وحياها وقال لها أتيتك أيتها الملكة بتجارة عظيمة وأموال جسيمة . فصعدت الزباء الى سطح قصرها فرأت القافلة تدخل المدينة فأنكرت مشى الجمال وارتابت منها وقالت يا قصير :

ما للجمال مشيها وئيداً أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا بارداً شديداً أم الرجال جثماً قعوداً

ثم أمرت بالصناديق فأدخلت قصرها وقت المساء وقالت غداً ننظر ما أتيتنا به . وكذبت فراستها وأمنت نفسها لانها لم تكن تشك فى صدق قصير وحبه لها .

فلما انتصف الليل فتحت الرجال الصناديق وخرجوا وفى أيديهم السيوف يتقدمهم عمرو وهجموا على من بالقصر من الحرس والغلمان والجوارى وقتلوهم كلهم . فلما أحست الزباء بالخطر أسرعت الى نفق كانت أعدته لمثل هذه الساعة وكان قصير يعرفه ووصفه لعمرو فسارا اليها فلما رأت عمراً وقصيراً يطلبانها مصت سماً كان فى خاتمها وقالت بيدى لا بيد عمرو وتلقاها عمرو وقصير بسيفيهما فماتت بين امتصاص السم وبين ضرب السيوف . وبذلك تمت الحيلة وأخذت المدينة عنوة لانهم فاجئوا أهلها ليلا واستولوا عليها وأخذ عمرو كل ما فى القصر وغيره من الاموال وسبى الذرارى واستولى على ملك الزباء وضمه الى ملكه ثم عاد الى الحيرة .

وبقصير هذا يضرب المثل حتى اليوم فيقال (لامر ما جدع قصير أنفه)

وكانت الزباء قد بنت قصرين متقابلين على شاطئي الفرات الشرقى والغربى وبنت بينهما جسراً من القراميد جعلته طريقاً لها. ولم تزل حتى الآن أطلال القصرين وآثار الجسر باقية . ويسميها بعض الناس الآن حلبى وجلبى. وفى رواية انها بنت على ضفتى الفرات مدينتين عدى القصرين المذكورين. وما قيل من ان الزباء هذه هي زينوبيا ملكة تدمر فلا صحة له وان كانتا فى عصر واحد ومن أصل واحد لان زينوبيا ملكة تدمر أسرها الروم واستولوا على ملكها بعد حروب وبقيت فى الاسر الى أن ماتت. اما الزباء هذه فقد انقرضت دولتها على يد عمرو بن عدى المذكور كما تقدم

وعمرو هذا هو أول من اتخذ الحيرة كرسياً لمملكة اللخميين وكانت قبل ذلك تتراوح بين الحيرة وبقة . وكان منفرداً بملكه يغزو المغازى مطاع الامر نافذ الحكم على

جميع القبائل العربية التى فى العراق. عاصر من ملوك الفرس الساسانية سابور الاول بن أردشير بن بابك وبهرام الاول وبهرام الثانى وبهرام الثالث. وتوفى سنة ٢٨٨ م بعد ان حكم عشرين سنة

٥ امرؤ القيس الاول

من سنة ٢٨٨ الى سنة ٣٢٨

هو امرؤ القيس الاول بن عمرو الاول بن عدى تولى الملك بعد وفاة أبيه . ويقال له البداء والبدء (أى الاول) وكان عاقلا شجاعاً حازماً عظيم الهيبة والهمة اتسع سلطانه وامتدت سطوته على جميع قبائل العرب فى بادية العراق والشام وشملت دولته معظم القسم الشمالى من جزيرة العرب وبعض جنوبيها . وأقوى عرب العراق والشام فى ذلك العهد معد وأسد ونزار ومذحج وربيعة ومضر وكلهم خضعوا له ودخلوا تحت طاعته وحكمه . ويقول بعض المؤرخين انه حكم على عرب الحجاز والشام والجزيرة والعراق

وهو أول من تنصر من ملوك الحيرة. وكان على عبادة الاوثان كاسلافه الذين كانوا عليها فى اليمن والعراق فلما تولى الملك هذا وعظمت سطوته خالط الرهبان والنصارى الذين فى العراق والشام وقدمهم فتمكنت فيه الديانة النصرانية فتنصر ونشر النصرانية فى قومه وحمى دعاتها ونصرهم مدة حياته. عاصر ملوك الفرس بهرام الثالث ونرسى بن بهرام وهرمز الثانى. وسابور الثانى الملقب بذى الاكتاف، وكان يلقب بملك العرب وبذى التاج لأن ملك الفرس ألبسه التاج الملوكى وسماه ملك العرب. وبعد أن حكم أربعين سنة مات فى حوران سنة ٣٢٨ م. وهو أول من تقلد التاج من ملوك الحيرة

وعثر المستشرق دوسو الفرنساوى من عهد قريب على قبره فى خرائب النمارة بين آثار الغسانيين فى حوران ووجد خمسة أسطر على العتبة العليا من القبر التى هى من حجر البازلت مكتوبة بالحرف النبطى قلم حوران الذى كان يكتب به عرب الشمال. واللسان العربى الشمالى أو لغة عدنان

تشوبها صبغة آرامية كما كانت فى ذلك العهد (فى أوائل القرن الرابع للميلاد) وليس في الكتابة شىء من اللغـة الحميرية وهذه أقدم كتابة عربية شمالية وجدها النقابون على الآثار وترجمت الكتابة المذكورة الى اللغة العربية الحالية وهـذه ترجمتها :

(هذا قبر امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى تقلد التاج وأخضع قبيلتى أسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليوم وقاد الظفر الى اسوار نجران مدينة شمر وأخضع معـدا واستعمل بنيه على القبائل وأنابهم عنـه لدى الفرس والروم فلم يبلغ مبلغه ملك الى اليوم. توفى سنة ٢٢٣ فى اليوم السابع من ايلول وفق بنوه للسعـدة) . وهذا التاريخ تاريخ بصرى عاصمة حوران ومبداؤه دخولها فى قبضـة الروم سنة ١٠٥ للميلاد فاذا أضـيفت ١٠٥ الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨ للميلاد . وحيث انه مات فى حوران كتبوا أهلها على قبره بقلمهم ولغتهم وأرخوه بتاريخ ولايتهم

٦ عمرو الثاني

من سنة ٣٢٨ الى سنة ٣٧٧ م

هو عمرو الثانى ابن امرئ القيس الاول · ملك بعد وفاة أبيه وكان عالى الهمة شديد البأس . وكانت أيامه أيام سلم ورخاء وعز وهناء عاصر من ملوك الفرس سابور الثانى (ذى الاكتاف) . وأمه هند بنت كعب بن عمرو . وحكم تسعا وأربعين سنة ومات سنة ٣٧٧م ولم يصلنا عنه غيره هذا

٧ أوس بن قلام

من سنة ٣٧٧ الى سنة ٣٨٢ م

هو أوس بن قلام العمليقى [١] وليس له نسب ولا قرابة فى هذه الدولة . ولكن ملك الفرس سابور الثانى ملكه على الحيرة واعمالها وقواه بالجنود وسبب ذلك انه لما مات عمرو الثانى حدثت الفتن بين اولاده وقام كل منهم

---

(١) نسبة الى العمالقة . والعمالقة طائفة كبيرة من العرب القدماء تقدم ذكرهم

يطلب الملك لنفسه فاختلت المملكة وكثر فيها القتل والنهب فغضب عليهم سابور هذا فملك اوس وقواه بالجنود فسكنت الفتن وانهزم اولاد عمرو وحكم اوس خمس سنين منها ثلاث سنين فى ايام سابور ذى الاكتاف وسنتين فى ايام اردشير الثانى ثم سار بنو لخم وهجموا عليه وقتلوه وملكوا امرىء القيس بن عمرو الثانى فرجع الملك الى اهله

٨ امروء القيس الثاني

من سنة ٣٨٢ — سنة ٤٠٣ م

هو امرؤ القيس الثانى بن عمرو الثانى تولى الملك بعد قتل اوس بن قلام العمليقى . ويعرف بامرىء القيس البدن وهو محرق الاول . وكان هذا الملك عظيم الهيبة بطاشا قاسى القلب عاقب بالنار اعدائه ولذلك سمى المحرق فهو اول من عاقب بالنار من هـذه الدولة . وبه عنى الاسود بن يعفر النهشلى حيث يقول :

ما ذا أؤمل بعد آل محرق　　تركوا منازلهم وبعد أياد
أهل الخورنق والسدير وبارق　　والقصر ذي الشرفات من سنداد

عاصر من ملوك الفرس اردشير الثانى وسابور الثالث وبهرام الرابع ويزدجر الاول (الاثيم) وحكم احدى وعشرين سنة ومات سنة ٤٠٣ ولم يصل الينا عنه غير هذا :

٩ (النعمان الاول)

من سنة ٤٠٣ الى سنة ٤٣١ م

هو النعمان الاول بن امرىء القيس الثانى ويسمي السائح والاعور والنعمان الاكبر تولى الملك بعد وفاة أبيه وهو من أشهر ملوك الحيرة . وأمه شقيقة ابنة أبى ربيعة ابن ذهل بن شيبان . كان من أشد ملوك العرب بأسا ونكاية فى أعدائه وأبعدهم مغارا واكثرهم ثروة ومالا وكان مهابا جليل القدر نافذ الامر شجاعا مطاعاً حازماً ذا عقل راجح وهمة عالية

اجتمع له من الاموال الباهظة والرقيق والخول والخيل

والجند والسلاح ما لم يجتمع لاحد من ملوك الحيرة . جند الجند على نظام عرف به وكان عنده خمس كتائب . الرهائن والصنائع والوضائع والاشاهب ودوس ، أما الرهائن فانهم خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يخلفهم كل سنة مثلهم وكان الملك يوجههم فى مهام اموره

وأما الصنائع فبنو قيس وبنو تيم اللات ابنى ثعلبة وهم خواص الملك لا يرجون بابه ، وأما الوضائع فهم الف رجل من الفرس يستخدمون لنصرة العرب ويستبدلون بمثلهم كل سنة ، وأما الاشاهب ماخوة الملك وبنو عمه ومن يتبعهم سموا بهذا الاسم لانهم كانوا بيض الوجوه ، وأما دوسر فانها أخشن كتائبه وأشدها بطشا ونكاية وكانوا من كل قبائل العرب سميت دوسرا اشتقاقا من الدسر وهو الطعن ، قال الشاعر :

ضربت دوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد ملك فاستقر

وغزا النعمان بلاد الشام مرارا وقهر أهلها واكثر فيها المصائب وقتل وغنم وسبى

وبلغت الحيرة فى عهده قمة مجدها وفاقت على غيرها من المدن العربية بالثروة والعمران

وهو الذى بنى القصرين المشهورين الخورنق والسدير الذين هما من أعظم أبنية ملوك العرب فى العراق. بني الخورنق على مرتفع خارج الحيرة على بعد ميل منها مما يلى الشرق يشرف منه على الحيرة والنجف وما يليهما من البساتين والحدائق والانهار مما يلي الغرب ، وعلى الفرات مما يلى الشرق. بناه له رجل رومى اسمه سنمار كان قد أحضره من بلاد الروم فقضى فى بنائه السنين (قيل عشرين سنة) فلما تم واعجبه بنائه وانتظامه أمر بسنمار فرمى من سطح القصر فهلك حتى لا يبنى سواه لغيره ، وقيل ان سنمار لما فرغ من بنائه قال لو علمت انكم توفونى أجري لعملته يدور مع الشمس فقال النعمان وانك لتقدر على ماهو أفضل منه ثم أمر به فألقى من رأس الخورنق فهلك . وقيل ان النعمان صعد على سطح القصر ونظر الى البحر تجاهه والبر خلفه

فأعجبه البناء فقال مارأيت مثل هذا قط . فقال سنمار انى اعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله . فقال أيعرفها غيرك . قال لا . قال لاجرم لادعنها وما يعرفها أحد . ثم أمر به فقذف من أعلى القصر الى أسفله فضربت العرب به المثل وقالت فى ذلك الاشعار منها قول أبي الطمحان القينى :

جزاء سنمار جزوها وربها وباللات والعزى جزاء المكفر

وقال سليط بن سعد :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

وقال عبد العزى :

جزانى جزاه الله شر جزائه
جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة
يعلى عليه بالقراميد والسكب
فلما رأي البنيان تم سحوقه
وراض كمثل الطود والباذخ الصعب

وظن سنمار به كل خيره
وفاز لديه بالكرامة والقرب
فقال اقذفوا بالعلج من رأس شاهق
وذاك لعمر الله من أعظم الخطب

وحديث سنمار مشهور وبه تضرب العرب المثل حتى اليوم . والخورنق لفظة فارسية معربة .

وقد ذكرت العرب هذا القصر فى أشعارها وضربت به الامثال فى اخبارها وسيأتى ماقيل فيه فى محله. اماالسدير فانه بناه فى وسط البرية التى بين الحيرة والشام . وقيل بناه فى الحيرة . وذكرته العرب فى اشعارها وضربت به الامثال فى أخبارها أيضاً وسيأتى ماقالوا فيه .

والنعمان هـذا هو الذى كان السبب فى معركة يوم رحرحان المشهورة عند العرب . وذلك انه كان متزوجا الى زهير بن قيس بن جذيمة من بنى عبس فأرسل الى حميـه المذكور يستزيره بعض اولاده فأرسل ابنه شاسا فا كرمه النعمان واعطاه مالا كثيرا فلما رجع شاس يريد قومه ومعه

الاموال لقيه فى الطريق رياح بن الاشل الغنوى فطمع بالمال فاحتال على شاس وقتله واخذ ما كان معه فوصل الخبر لزهير فحمل عليهم ودارت بين القبيلتين حرب شديدة انتصر فيها زهير واخذ بثار ابنه وسميت المعركة هذه بيوم رحرحان.

وهو الذى تولى تربية بهرام جور ملك الفرس. وذلك ان يزدجرد الاثيم كان لا يعيش له ولد وكان قد أصاب ابنه بهرام جور علة فى صغره فأشار عليه الاطباء ان يخرجه الى ارض العرب فى منزل طيب الهواء خال من الادواء فأتقده الى النعمان ليربيه من الرضاعة فما بعدها فرباه النعمان وعالجه حتى برأ من علته ولما بلغ خمس سنين احضر له مؤدبين ومعلمين فعلموه القراءة والكتابة والحكمة والرمى والصيد والفروسية فوعى كل ما علمه وظل عند النعمان بالحيرة حتى صار رجلا كاملا فمات ابوه وهو عند النعمان فاتفق عظماء الفرس وامراؤهم على ان لا يملكوا احداً من ولد يزدجرد لسوء سيرته معهم ونشوء بهرام جور عند النعمان وتخلقه بأخلاق العرب وملكوا عليهم رجلا من نسل اردشير

ابن بابك . فوصل الخبر لبهرام فاستنجد النعمان واستعطفه فأرسل النعمان عشرة آلاف فارس من العرب بقيادة ابنه المنذر وأمره بالغارة على البلاد فزحف المنذر بالجيوش على بهرسير وطيشور مدينتى الملك ونزل قريبا منهما وأرسل الطلائع وشن الغارات وضيق على الفرس أى تضييق . ثم سار النعمان بثلاثين ألف فارس من العرب ومعه بهرام جور فرد الملك اليه بالسيف وأجلسه على سرير الملك وأطاعه الجميع وصار النعمان نافذ الكلمة فى الدولة الساسانية وكان بهرام جور يبالغ فى احترامه واكرامه اذ لولاه لما جلس على أريكة الملك

وفى أيام النعمان هذا كان للعرب صولة وجولة فى العراق ولا سيما عرب الحيرة . وفى عهده حدثت فتنة فى الحيرة بين الوثنيين والنصارى سنة ٤٢٠ م فانتصر النعمان للمسيحية وحمى النصرانية وهو على الوثنية وذلك اكبر دليل على عدالة هذا الملك حيث انتصر للحق وحمى النصارى والنصرانية وهو على غيرها . وكان يومئذ فى الحيرة جماعة كبيرة من نصارى العرب ومنهم أسقف ولهم ديرات عديدة

عاصر ملوك الفرس يزدجرد الاول وبهرام جور . ولما
عظم ملكه وكثرت أمواله وزادت هيبته مال الى الزهد
وخرج من قصره ليلا تاركا ملكه وأمواله وأولاده وساح
فى الارض فلم يره بعد ذلك أحد ولذلك سمى السائح وذلك في
سنة ٤٣١ م وفيه يقول عدى بن زيد يخاطب النعمان الثالث :

وتدبر رب الخورنق اذا شـ رف يوما وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يمـ لك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبـ طة حتى الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والنعمـ ة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كانهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

وهذه الابيات آخر القصيدة ومطلعها :

أيها الشامت المعير بالدهـ ر أأنت المبرأ الموفور

ومنها

أم لديك العهد الوثيق من
الايام بل أنت جاهل مغرور

من رأيت المنون خلدن أم من
ذا عليه من أن يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك أنوشر
وان أم أين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الر
وم لم يبق منهموا مذكور
وأخو الحضر اذ بناه واذ دجلة
تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلا
سا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الـ
ـملك عنه فبابه مهجور



١٠ المنذر الاول

من سنة ٤٣١ الى سنة ٤٧٣ م

هو المنذر الاول بن النعمان الاول تولى بعد أبيه وحكم ٤٢ سنة وأمه هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمرو الغسانى. وكان شجاعا حازماً مهاباً مظفراً منصوراً . نصر بهرام جور فى حروب كثيرة منها حربه مع الروم وذلك ان بهرام جور اضطهد النصارى الذين فى بلاده فنهض الروم لنصرتهم واتخذوا ذلك ذريعة للحرب طمعا بالبلاد فانتشبت الحرب بين الامتين وحاصر الروم مدينة نصيبين فاستنصر بهرام بالمنذر فزحف المنذر بجيش عظيم من العرب فانتصر على الروم وطردهم عن نصيبين ثم زحف الى سوريا فاستولى عليها عنوة واكتسحها من الروم وبالغت جنوده فى القتل والنهب ثم زحف على القسطنطينية فوقع الرعب فى قلوب الروم وخافوا خوفا شديدا وقبل أن يصلها حدث اضطراب فى معسكره فاضطر الى عقد الصلح معهم وعاد الى بلاده بالغنائم

وهو الذى بنى دير حنة فى الحيرة بناه لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع وأنفق فى بنائه أموالا طائلة وكان ديرا كبيرا جدا فى غاية الحسن والانتظام وفيه يقول الثروانى:

يادير حنـة عنـد القائم[1] الساقى
الى الخورنق من دير ابن براق
ليس السـلو وان أصبحت ممتنعا
من بغيتى فيك من شكلى واخلاقى
سقيا لعافيـك من عاف معالمـه
قفر وما فيك مثل الوشم من باق

عاصر من ملوك الفرس بهرام جور ويزدجرد الثانى وهرمز الثالث .

---

(١) القائم : هى منارة عالية كالمرقب كانت تقابل دير حنة تسمى القائم وهي لبني أوس بن عمرو بن عامر

١١ الاسود

من سنة ٤٧٣ الى سنة ٤٩٣ م

هو الاسود بن المنذر الاول تولى بعد موت أبيه وحكم عشرين سنة قضى اكثرها فى الحروب مع بنى غسان للاخذ بثار ابن عم له فانتصر عليهم وأسر عدة من ملوكهم ثم أراد أن يعفو عنهم فقام ابن عم له اسمه أبو أذينة وقال :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا
ولا يسوغه المقدار ما وهبا
وأحزم الناس من ان فرصة عرضت
لم يجعل السبب الموصول مقتضبا
وأنصف الناس فى كل المواطن من
سقى المعادين بالكأس الذى شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم
بحد سيف به من قبلهم ضربا

والعفو الا عن الا كفاء مكرمة

من قال غير الذى قد قلته كذبا

قتلت عمراً وتستبقى يزيد لقد

رأيت رأيا يجر الويل والحربا

لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها

ان كنت شهماً فألحق رأسها الذنبا

هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرا

وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا

ان تعف عنهم يقول الناس كلهم

لم يعف حلماً ولكن عفوه رهبا

هم أهلة غسان (١) ومجدهم

عال فان حاولوا ملكا فلا عجبا

وعرضوا بفداء واصفين لنا

خيلا وابلا تروق العجم والعربا

---

(١) أهلة غسان أى وجوه غسان

أيحلبون دما منا ونحلبهم
رسلا لقد شرفونا فى الذى حلبا
علام نقبل منهم فدية وهم
لافضة قبلوا منا ولا ذهبا

فلما ختم أبو أذينة قصيدته أمر الاسود بالاسرى فقتلوا وقد اشتهر هذا الملك بهذه المعركة الاخيرة لانه فاز بها فوزاً باهراً على أعدائه الغسانيين وقتل منهم عددا عظيما وغنم أموالا كثيرة وأسر جماعة من ملوكهم ثم قتلهم باغراء الى أذينة كما تقدم

وعاصر من ملوك الفرس فيروز بن يزدجرد وبلاش ابن فيروز وقباذ الاول بن فيروز

ويقول بعض المؤرخين انه غزا الغسانيين مرة أخرى فى آخر أيامه فقتل بالمعركه

١٢ المنذر الثاني

من سنة ٤٩٣ الى سنة ٥٠٠ م

هو المنذر الثانى ابن المنذر الاول ملك بعد أخيه وحكم سبع سنين . وعاصر من ملوك الفرس قباذ الاول فقط . ولم يحدث فى عهده شىء يذكر

١٣ النعمان الثاني

من سنة ٥٠٠ الى سنة ٥٠٤

هو النعمان الثانى بن الاسود بن المنذر الاول تولى الملك بعد وفاة عمه المنذر الثانى وملك أربع سنين قضى معظمها خارج الحيرة يحارب الروم فى الجزيرة وسوريا

وفى سنة ٥٠٤ حاصر قباذ الاول ملك الفرس مدينة الرها وكانت ممتنعة حصينة فلم يتمكن منها فاستنصر بالنعمان المذكور فسار لنجدته بجيش عظيم من العرب ونصره وفى

أثناء المحاصرة لمدينة الرها توفى النعمان هذا . ولم يعاصر غير قباذ المذكور

وفى آخر أيام هذا الملك تعدى بكر وتغلب على حدود العراق وكان هو محاصراً لمدينة الرها مع قباذ فأرسل جيشا ضعيفا بقيادة ابنه امرؤ القيس فاندحر جيشـه وقتل جماعة من أهله

١٤ علقمة

من سنة ٥٠٤ الى سنة ٥٠٧ م

هو أبو يعفر علقمة بن علقمة بن مالك الذميلى ملكه على الحيرة قباذ الاول بعد وفاة النعمان الثالث وهو ليس من آل عمرو بل من ذميل . وذميل بطن من لخم . وحكم ثلاث سنين ولم يعاصر من ملوك الفرس غير قباذ الاول وليس له خبر يستحق الذكر

١٥ امروء القيس الثالث

من سنة ٥٠٧ الي سنة ٥١٤ م

هو امرؤ القيس الثالث بن النعمان الثانى تولى الملك بعد علقمة الذميلى وحكم سبع سنين وهو الذى بنى الحصن المنيع المعروف « بالصِّنّبر » وحارب بنى بكر وانتصر عليهم فى دارهم .

وفى أيامه ظهرت النصرانيـة بالعراق واشتهرت ، وحدثت فتنة فى الحيرة بين النساطرة واليعقوبية (الارمن) واشتد جدالهم وتتابعت ثوراتهم على الرئاسة الدينية وأخيراً فاز النساطرة وصارت لهم الرئاســة على النصـارى فى هذه المملكة .

ولم يعاصر هذا الملك من ملوك الفرس غير قباذ الاول ولم يصلنا عنه غير هذا .

١٦ المنذر الثالث

من سنة ٥١٤ الى سنة ٥٦٣ م

هو المنذر الثالث بن امرىء القيس الثالث تولى الملك بعد وفاة أبيه وملك ٤٩ سنة وهو أشهر ملوك الحيرة واكثرهم علماً وعملاً . وكان يلقب ذا القرنين لظفيرتين كانتا له من شعره. واشتهر بامه ماء السماء فسمى ابن ماء السماء . وأصل اسم أمه ماوية وكانت فى غاية الحسن والجمال فسميت ماء السماء وهى ابنة عوف بن جشم بن النمر بن قاسط . وقيل لقب بذلك لانه ملأ بعطائه وجوده الأرض كما يملأ القطر الارض وزوجته هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندى . ولدت له عمراً وقابوساً . وكانت مسيحية [1] وتسمى هند الكبرى وهى عمة امرىء القيس الشاعر المشهور . وفى سنة ٥٢٨ م حدثت حرب عظيمة بين المنذر وبين الحارث ابن أبى شمر ملك غسان فانتصر المنذر وغنم أموالاً عظيمة

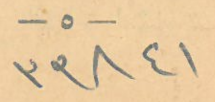
---

(١) وفي رواية أنها غسانية

وعاد الى مقره بالغنائم وتولى هذا الملك في أواسط حكم قباذ الاول وبلغت الدولة في عهده قمة مجـدها وأوج سعدها. وفى عهده سنة ٥٢٩ م ظهر مرزك فى الفرس وانتشر مذهبه وتبعه قباذ وتعصب له وحمل الناس والملوك الذين تحت رعايته على اتباعه ومن جملتهم المنـذر هذا فأبى المنذر اتباعه فتغير عليه قباذ فاغتنم الفرصـة ملك كندة الحارث بن عمرو بن حجر (١) وكان ينافس المنذر فى السيادة على عرب الشمال كما نافس آباؤه آباء المنذه وكما نافسهم عليها الغسانيون فتقرب الحارث من قباذ ووافقه على دين مزدك وتصـدى لحا كمية

---

(١) حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكـنـدى . وهم ملوك على عرب نجد ونواحي العراق . وحجر هذا كان يلقب آكل المرار . ولدولة كندة شأن في تاريخ العرب. وكانت كندة لاتزوج بناتها بأقل من مائة من الابل وربما أمهرت الواحدة منهن الفاً منها . لذلك كانت مهور كندة مثلا في الغلاء عند العرب . وكندة ولخم من أصل واحد لان لخم عم كندة



الحيرة فقلده اياها قباذ وقواه بالجنود وعزل المنذر وأخرجه منها

وكانت الفتن يومئذ فى فارس والعراق قائمة على قدم وساق لسبب انتشار دين مزدك . فاختفى المنذر وظل يترقب الفرص فلما مات قباذ وتولى مملكة الفرس كسرى أنوشروان العادل سنة ٥٣١ م وقتل مزدك وأنصاره وأعاد المجوسية القديمة أقبل المنذر عليه فبالغ أنوشروان فى اكرامه وأعاده الى الحيرة فسار المنذر بفرسان من تغلب وأياد . والحارث يومئذ فى الانبار فبلغه الخبر فانهزم منها بأهله وماله وحاشيته . وبعد أن تم أمر المنذر بالحيرة وأعمالها سار بفرسانه متتبعا للحارث فهرب الحارث بأهله ولحق بأرض كلب ونجا فاغتنم المنذر أمواله وهجائنه وأسرت بنو تغلب ثمانية وأربعين رجلا من بنى حجر آكل المرار فيهم عمرو ومالك ابنا الحارث فأمر المنذر بقتلهم بحفر الاميال فى ديار بنى مرين العبادين بين دير هند الكبرى والكوفة فقتلوا . وفى ذلك يقول امرؤ القيس الشاعر المشهور

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن فى الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

وكان امرؤ القيس المذكور معهم وقد خرجوا للصيد فجاءهم القوم وأسروهم وأفلت امرؤ القيس. ثم قتل الحارث فى بنى كلب (ولم يحكم فى الحيرة اكثر من سنتين وذلك من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٣١ م) وعمل المنذر على الانتقام لنفسه فسعى للافساد بين أولاد الحارث الذين ملكوا بعده كندة حتى حدثت بينهم الحروب وقتل سلمة بن الحارث أخاه شرحبيل وتوالت الفتن فى قومه فأدرك سلمة أن المنذر أراد أن يقتل بعضهم بعضا فخاف على نفسه والتجأ ببنى تغلب فأرسل المنذر الى تغلب يأمرهم بطرد سلمة فأخرجوه عنهم فالتجأ الى بكر بن وائل فأذعنت له وحشدت عليه واتخذته ملكا. فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فأبوا ذلك فحلف ليسيرن اليهم فان ظفر بهم فليذبحنهم ع؟

قمة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض. وسار اليهم بجنوده فالتقوا بأوارة فاقتتلوا قتالا شديدا فانتصر المنذر وانهزمت بكر وقتل منهم عدد كثير وأسر يزيد بن شرحبيل الكندى فأمر المنذر بقتله. ثم لحقهم جيوش المنذر وأخذوا منهم أسرى كثيرين فأمر بهم فذبحوا على جبل أوارة فجعل الدم يجمد فقيل له أبيت اللعن لو ذبحت كل بكرى على وجه الارض لم يبلغ دمهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم الى الحضيض. وأراد أن يحرق النساء فكلمه رجل من قيس بن ثعلبة فأطلقهن. ويعرف هذا اليوم بيوم أوارة الاول وهو يوم مشهور عند العرب

وفى هذه السنة أى سنة ٥٣١ م زحف المنذر بجيوشه العربية على مملكة الروم نجدة لكسرى أنوشروان ملك الفرس وكانت الروم يومئذ مشغولة بالفتح بأوربا وأفريقيا فاضطر القيصر يوستنيان الى مصالحة أنوشروان فصالحه على شروط رضياها ولم يدخل أنوشروان المنذر فى المعاهدة لمقاصد سياسية فعاد المنذر الى مقره. فلما كانت سنة ٥٣٢ م

بلغ كسرى أنوشروان كثرة مافتحه الروم باوربا وأفريقيا فندم على صلحهم فأوعز الى المنذر أن يتعرض بالحارث ملك غسان وأن يوغل بسوريا غزوا ونهبا . وكان يومئذ بين المنذر وبين الحارث نزاع على طريق للماشية فى جنوبى تدمر يزعم المنذر انها من ملكه ويدعى الحارث انها له فاتخذ المنذر ذلك ذريعة للحرب وزحف بجيوشه على الحارث فتحاربا فانتصر أنوشروان للمنذر وأمده بجيوش عظيمة فأوغل المنذر بسوريا وقتل ونهب فانتصر الروم للحارث وعادت الحرب من أجل ذلك بين الفرس والروم وحمل كسرى أنوشروان على سوريا وآسيا الصغرى ونصيره المنذر وكاد يفتح القسطنطينية وأخيرا عقد الصلح بين الدولتين وعاد المنذر بالغنائم بعد أن عقد الصلح هو أيضا مع ملك غسان

والمنذر هذا هو صاحب الغريين[1] ويومى البؤس والنعيم وذلك انه كان له نديمان من بنى أسد وهما خالد ابن

---

(١) مثنى غرىّ وهو البناء الحسن

المضلل وعمرو بن مسعود بن كلدة وهما اللذان عناهما الشاعر بقوله :

ألا بكر الناعى بخيرى بنى أسد

بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

فشرب ليلة معهما فغلب عليهما الشراب فراجعاه فى بعض الكلام وأغضباه فأمر وهو سكران فحفروا لهما حفرتين فى ظهر الحيرة ودفنوهما حيين . فلما أفاق من سكرته ندم على عمله وحزن لهما حزنا شديدا لانه كان يحبهما محبة شديدة وأمر ببناء صومعتين عليهما وأقسم لايمر أحد من وفود العرب الا بينهما . وجعل لهما فى السنة يوم نعيم . وهو مثل اليوم الذى سكر فيه وأمر بقتلهما . ويوم بؤس وهو مثل اليوم التالى الذى عرف فيه قتلهما وكان يضع سريره بينهما فاذا كان فى يوم نعيمه فأول من يطلع عليه وهو على سريره يعطيه مائة من ابل الملوك . وأول من يطلع عليه فى يوم بؤسه يأمر بذبحه ويطلى بدمه الغريين الصومعتين . ولبث على هذا العمل برهة من الدهر فبينا هو ذات يوم

من أيام بؤسه اذ طلع عليه عبيد بن الابرص الاسدى الشاعر جاء ممتدحاً فشق على المنذر قتله ولم ير بدا من البر بقسمه فقال له الا كان الذبح غيرك ياعبيد فقال عبيد (أتتك بحائن رجلاه) فقال له المنذر أو أجل قد بلغ اناه . ثم قال ياعبيد أنشدنى فقد كان يعجبنى شعرك فقال (حال الجريض دون القريض وبلغ الحزام الطبيين) فقال أنشدنى :

أقفر من أهله ملحوب　　　فالقطبيات فالذنوب

فقال عبيد :

أقفر من أهله عبيد　　　فاليوم لا يبدى ولا يعيد

عنت له منة نكود　　　وحان منها له ورود

فقال المنذر أنشدنى هبلتك أمك . فقال (المنايا على الحوايا) . فقال بعض القوم أنشد الملك هبلتك أمك . فقال (لا يرحل رحلك من ليس معك) فقال له آخر ما أشد جزعك من الموت . فقال :

لا غرو من عيشه نافده　　　وهل غير ما ميتة واحده

فابلغ بنىّ وأعمامهم　　　بأن المنايا هى الراصده

لها مدة فنفوس العباد   اليها وان كرهت قاصده
فلا تجزعوا لحمام دنا   فللموت ما تلد الوالده

فقال له المنذر لا بد من الموت ولو عرض لى أبى فى هذا اليوم لم أجد بداً من ذبحه فأما اذا كنت لها وكانت لك فاختر من ثلاث خصال . ان شئت من الاكحل . وان شئت من الابجل . وان شئت من الوريد ، فقال عبيد (ثلاث خصال مقادها شر مقاد . وحاديها شر حاد ولا خير فيها لمرتاد . فان كنت لا بد قاتلى فاسقنى الخمر حتى اذا ذهلت لها ذواهلى وماتت لها مفاصلى فشأنك وما تريد) : فأمر المنذر بحاجته من الخمر ، فلما أخذت منه وقرب ليذبح أنشأ يقول :

وخيرنى ذو البؤس فى يوم بؤسه
خلالا أرى فى كلها الموت قد برق
كما خيرت عاد من الدهر مرة
سحائب ما فيها لذى خيرة أنق

سحائب ريح لو توكل ببلدة
فتتركها الا كما ليلة الطلق

وأمر به ففصد فلما مات طلى بدمه الغريين ، ولبث على عمله مدة حتى أتاه فى يوم بؤسه حنظلة بن أبى عفراء الطائى وكان له على المنذر فضل . وذلك انه كان قد خرج يوماً يتصيد ومعه رجال دولته فرأى حماراً وحشياً فلحقه فذهب به الفرس فى الارض ولم يقدر على رده وانفرد عن أصحابه وأخذته السماء بالمطر فطلب ملجأ يتقى به حتى دفع الى خباء واذا فيه حنظلة بن ابن أبي عفراء الطائى وامرأته . فقال المنذر هل من مأوى قال حنظلة نعم وخرج اليه وأنزله وهو لا يعرفه. ولم يكن لحنظلة غير شاة فقال لزوجته أرى الرجل ذا هيئة وما أخلقه ان يكون شريفاً خطيراً فماذا نقريه. قالت عندى شيء من الدقيق فاذبح الشاة وأنا أصنع الدقيق خبزاً فقام الى شاته فاحتلبها ثم ذبحها واتخذ من لحمها طعاماً فاطعمه وسقاه من لبنها. وبات المنذر عنده تلك الليلة. فلما أصبح ركب فرسه وقال يا أخا طى أنا الملك المنذر

فاطلب ثوابك . قال أفعل ان شاء الله . ثم لحقته الخيل فمضى الى الحيرة . ومكث حنظلة بعد ذلك زمانا حتى أصابته نكبة وساءت حاله فقالت له امرأته لو أتيت الملك لاحسن اليك فأقبل حتى وصل الحيرة فوافق وصوله يوم البؤس. فلما نظر اليه المنذر ساءه ذلك وقال ياحنظلة هلا أتيت فى غير هذا اليوم فقال حنظلة أبيت اللعن لم يكن لى علم بما أنت فيه . فقال لو سنح فى هذا اليوم ابنى لم أجد بدا من قتله فاطلب حاجتك من الدنيا وسل مابدا لك فانك مقتول لا محالة . قال أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسى فان كان لا بد منه فأجلنى حتى أعود الى أهلى فأوصي اليهم وأقضى ماعلىّ ثم أنصرف اليك . قال فأقم لك كفيلا . فالتفت حنظلة الى من حوله فوثب اليه قراد (من خاصة الملك) بن أجدع الكلبي وقال على ضمانه. فرضى المنذر وأمر لحنظلة بخمسمائة ناقة فانصرف بها وقد جعل الاجل حولا كاملا من ذلك الى مثله من القابل. فلما انقضت السنة ولم يبق منها الا يوما واحدا قال المنذر لقراد ماأراك الا هالكا غدا . فقال قراد:

فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غداً لناظره قريب

ولما كان من الغد أراد المنذر قتله فقال له وزراؤه ليس لك ذلك حتى تغيب الشمس فتركه وهو يشتهى قتله ليسلم حنظلة . فلما قرب المساء أمر بقراد فوقف مجرّد فى أزار والسياف الى جانبه ينتظر غروب الشمس وهى على وشك الغروب فرأوا شخصاً من بعيد متوجهاً نحوهم وكان المنذر قد أمر بقتل قراد فقيل له تأمل حتى يتبين الشخص فكف عنه حتى قرب واذا هو حنظلة . فلما نظر اليه المنذر قال له ما الذى جاء بك وقد أفلتّ من القتل . قال الوفاء . قال وما دعاك الى الوفاء . قال دينى . قال وما دينك قال النصرانية . قال فاعرضها علىّ . فعرضها فمال قلب المنذر اليها . وعفى عن حنظلة وأكرمه وأكرم قراداً وقد عجب منهما

وقال ما أدرى أيكما أكرم وأوفى أهذا الذى نجا من السيف فعاد اليه أم هـذا الذى ضمنه وأنا لا أكون ألأم الثلاثة . وأبطل تلك العادة المشئومة من يومه وهدم الغريين وأخذ يفحص عن دين النصرانية حتى تنصر بعد أيام قليلة

وتنصر معه اكثر أهل الحيرة. وكان لرجوع حنظلة ووفائه تأثير عظيم على المنذر وكانت هذه الحادثه سبب تنصره وكان قبل ذلك على الوثنية يقدم الى العزّى ذبائح من البشر والحيوان

وهو صاحب يوم اباغ. وذلك انه سار بجيوشه سنة ٥٦٢م حتى نزل بعين اباغ بذات الخيار وأرسل الى ملك الغسانيين الحارث بن جبلة (وقيل هو ابن أبي شمر. وقيل هو جبلة الثالث ابن النعمان) اما أن تؤدى الجزية لى فأنصرف عنك بجنودى واما أن تأذن بحرب. فأجابه الحارث انظرنا ننظر في أمرنا فجمع الحارث رجاله فأشاروا عليه بالحرب فجمع عساكره وسار نحو المنذر ثم أرسل اليه يقول انا شيخان فلا تهلك جنودنا ولكن يخرج رجل من ولدك ويخرج رجل من ولدى فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فنى أولادنا خرجت أنا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك. فتعاهدا على ذلك فعمد المنذر الى رجل من شجعان أصحابه فأمره أن يخرج فيقف بين المعسكرين ويظهر انه ابن المنذر. فلما خرج أخرج الحارث

ابنه أبا كرب فلما قرب منه ورآه رجع الى أبيه وقال ان هذا
ليس بابن المنذر انما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه .
فقال الحارث يابنى جزعت من الموت ما كان الشيخ ليغدر
فعاد اليه وقاتله فقتله فارس المنذر وألقى رأسه بين يدى
المنذر وعاد الى مابين الصّفّين . فأمر الحارث ابنا له آخر
فخرج اليه فلما رآه عاد الى أبيه وقال ياأبت هذا عبد المنذر
فقال يابنى ما كان الشيخ ليغدر. فعاد اليه فشد عليه الفارس
وقتله . فلما رأى ذلك شمر بن عمرو أحد أصحاب المنذر
(وكانت أمه غسانية قال أيها الملك ان الغدر ليس من شيم
الملوك ولا الكرام وقد غدرت بابن عمك مرتين . فغضب
المنذر وأمر بطرده من المعسكر فلحق شمر بمعسكر الحارث
سراً وأخبره بما كان فلما كان الغد عبى الحارث أصحابه
وحرضهم وكانوا اربعين ألفا فاصطفوا للقتال واقتتلوا
ذلك اليوم قتالا شديداً وكانت حرب عظيمة هائلة استقتل
فيها الغسانيون وأخيراً هجموا هجمة واحدة فانهزمت جنود
المنذر وقتل هو فى المعركة وقتل بعض ابناء الحارث وجماعة

كثيرة من اصحابه وخلق كثير من جنود المنذر وانتهت الحرب وآلت الى دخول قنسرين في قبضة ملك غسان وذلك سنة ٥٦٣ م وهـذه المعركة يسميها العرب يوم ذات الخيار أو يوم أباغ أو يوم عين أباغ وهذا اليوم مشهور عند العرب . (وأباغ وادٍ في بادية الشام)

وفي رواية ان المنذر هذا بقي مع الغسانيين في صلح واتفاق منـذ سنة ٥٣٢ م حين تقررت بينه وبين الحارث معاهدة الصلح على أثر عقد الصلح بين الفرس والروم الى سنة ٥٦٢ م فطمع المنذر بملك الغسانيين وزحف الى بلادهم وطالت بينها الحروب وانتهت بقتله كما تقـدم سنة ٥٦٣ م وينقل ان الحارث أمر بعد انكسار جيوش المنذر وقتله بحمل ابنيه القتيلين على بعير بمنزلة العدلين وجعل المنذر فوقهما فرداً وقال يا العلادة دون العدلين فذهبت مثلا وسار بجيشه ونهب معسكر المنذر وغنم أموالا كثيرة وعاد الى مقره

وما ينقل من انه سار الى الحيرة ونهبها فلا صحة له لان الحرب كانت قرب قنسرين وقد ملكها الحارث بعد هذه الحرب

وكانت مدة المنذر هذا ٤٩ سنة مع مدة الحارث الكندى التى هى سنتان كانت فى أواخر أيام قباذ الاول . واذا أخرجنا مدة الحارث تكون مدة المنذر ٤٧ سنة فى دورتين . الدورة الاولى ١٥ سنة من سنة ٥١٤ الى سنة ٥٢٩ م وذلك فى عهد قباذ المذكور . والدورة الثانية ٣٢ سنة من سنة ٥٣١ الى سنة ٥٦٣ م فى حكم كسرى أنوشروان العادل

وفى عهده فتح الاحباش بلاد اليمن على يد ابرهة وكان هذا الملك فى جملة الوفود على ابرهة . وعاصر من ملوك الفرس قباذ الاول وابنه كسرى أنوشروان . ومن قياصرة الروم يوستنيانوس . ومن ملوك غسان الحارث بن جبلة وكلهم من مشاهير الرجال

والمنذر هذا هو الذى بنى قصر الزوراء بالحيرة وسيأتى ذكره فى محله

١٧ عمرو الثالث

من سنة ٥٦٣ الى سنة ٥٧٨ م

هو عمرو الثالث بن المنذر الثالث تولى الملك بعد قتل أبيه . وكان من اكبر وأشهر ملوك الحيرة فكان له من الهيبة فى نفوس العرب والسلطان والمكان ما جعل الكل فى خشية من فتكه وبطشه ولذلك أطاعته جميع القبائل واستتب له الامر وانتظم له الملك . وكان ملكا جليلا شديد السلطان عظيم السطوة نافذ الامر ويعرف بعمرو بن هند لان أمه هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندى وهى عمة امرىء القيس الشاعر المشهور ابن حجر بن الحارث. ولقب هذا الملك بمضرط الحجارة لشدة بأسه وقوته ويسمي المحرق الثانى أيضا . عاصر من ملوك الفرس كسرى انو شروان فقط ولثمان سنين مضت من ملكه كان مولد النبى محمد (ص)

وهو صاحب يوم أدارة الثانى . وذلك انه كان قد دفع

ابنه اسعد الى ذرارة ابن عدس التميمى ليربيه من الرضاعة فما فوقها فرباه ذرارة فلما ترعرع مرت به ناقة سمينة فعبث بها فشد عليه صاحبها سويد أحد بني عبد الله بن دارم التميمي فقتله ولا يعرفه . فلما علم انه ابن ملك الحيرة خاف على نفسه وهرب الى مكة وحالف قريشاً ،

وكان عمرو هذا قد غزا قبل ذلك ومعه ذرارة فأخفق فلما كان حيال جبلى طىء قال له زرارة أى ملك اذا غزا لم يصب فمل الى طىء فانك بحيالها فمال اليها عمرو وغنم وقتل فكانت فى صدور طىء على زرارة . فلما قتل سويد أسعد كان زرارة عند عمرو فقام عمرو بن ملقط الطائى وأنشد شعراً بين يدى عمرو يحرضه على زرارة ويغريه فى تميم. فقال عمرو ما تقول يا زرارة .قال كذب قد علمت عداوتهم فيك. قال صدقت . فلما جن الليل سار زرارة الى قومه ولم يلبث ان مرض فلما حضرته الوفاة قال لابنه يا حاجب ضم اليك غلتى فى بنى نهشل وقال لابن أخيه عمرو بن عمرو عليك

بعمرو بن ملقط الطائى فانه حرض على الملك . فقال يا عماه لقد أسندت الى أبعدهما شقة وأشدهما شوكة ، فلما مات زرارة تهيأ عمرو فى جمع وغزا طيئاً فأصاب الطريفين طريف ابن مالك وطريف بن عمرو وقتل الملاقط

فلما بلغ عمرو الملك وفاة زرارة غزا بنى دارم وقد كان حلف ليقتلن منهم مائة رجل فسار يطلبهم حتى بلغ أوارة وقد أنذروا به فتفرقوا فأقام مكانه وبث سراياه فيهم فأتوه بتسعة وتسعين رجلا سوى من قتلوه في غاراتهم فقتلهم فجاء رجل شاعر من البراجم ليمدح عمراً فأخذه ليقتله ليتم مائة ثم قال (ان الشقى وافد البراجم) فذهبت مثلا لمن يوقع نفسه فى البلاء

وفى رواية انه نذر ان يحرق منهم مائة فأتوه بتسعة وتسعين رجلا فأحرقهم واجتاز فى اثناء ذلك رجل من البراجم فشم قتار اللحم فظن ان الملك يتخذ طعاماً فقصده فقال له من أنت، فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم، فقال ان الشقي وافد البراجم وأمر به فقذف فى النار وصارت تميم بعد ذلك

يعيرون بحب الأكل لطمع البراجمى فى الأكل ، وسمت العرب ذلك اليوم يوم أوارة الثانى ، وسمت عمراً هذا محرقاً

وعمرو بن هند هـذا هو الذى أصلح بين بنى بكر وبنى تغلب وبصلحه انتهت حرب البسوس ، وهو صاحب المتلمس وطرفة العبد [1] الشاعرين المشهورين وكان كتب لهما كتابين الى عامله بالبحرين وأوهمها انه أمر لهما فيهما بصلة، وكان قد أمره فيهما بقتلهما بسبب هجائهما لاخيه قابوس، اما المتلمس فانه دفع صحيفته الى رجل من الحيرة فقرأها له فلما عرف ما فيها ألقاها فى نهر بقرب الحيرة وأنشد حين رماها :

قذفت بها فى اليم من جنب كافر
كذلك ألقى كل رأى مضلل

---

(١) طرفة بن العبد البكرى واسمه عمرو وطرفة لقب له، وهو شاعر مجيد مقـدم من فحول الشعراء ، وكان له أخت اسمها خرنق كانت شاعرة أيضاً

رضيت بهـا لما رأيت مدادها

يجول بهـا التيار فى كل جدول

وأما طرفة فانه مضى بصحيفته الى العامل فقتله فبلغ ذلك المتلمس وكان قد نصح طرفة بالعدول عن الذهاب فأبى فقال المتلمس

عصانى فما لاقى الرشاد وانما

تبين من أمر الغوى عواقبه

فأصبح محمولا على آلة الردى

يمج نجيع الجوف فيه ترائبه

وكان عمرو بن هند هذا نصرانياً لان أمه هند الكبرى كانت مسيحية فبثت مبادىء النصرانية فيه فنشأ نصرانياً قبل ان يتنصر أبوه، وقد بنت أمه هند ديراً كبيراً مشهوراً فى الحيرة يسمي دير هند الكبرى وكان في صدره مكتوب (على ما رواه الثقات) (بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وأم الملك عمرو بن المنذر أمة المسيح وأم عبده وبنت عبده فى ملك

ملك الاملاك خسرو أنو شروان فى زمن مارافريم الاسقف فالاله الذى بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بهـا ويقومها الى أمانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر)

وكانت وجوه العرب وأمراؤها وشعراؤها وخطباؤها تفد على هذا الملك فيكرمهم أموالا وأبلا وخيلا، وفده يوما أوس بن حارسة بن لام الطائى المشهور بجوده ومعـه حاتم ابن عبد الله الطائى المشهور بالـكرم والجود أيضا فدعا الملك أوسا فقال له أنت أفضل أم حاتم، فقال أبيت اللعن لو ملكني حاتم وولدى ولحمتى لوهبنا في غداة واحـدة، ثم دعا حاتما فقال له أنت أفضل أم أوس، فقال أبيت اللعن انما ذكرت بأوس ولاحد ولده أفضـل مني، فعجب الملك من مكارم أخلاقهما وأنعم عليهما بأموال جزيلة،

وفى آخر أيامه استولى عليه الغرور وطغى وتجبر وبالغ بالعظمة والـكبرياء حتى خيل له أن ليس فى الناس أفضل منه وليس من أمير من أمراء العرب الا ويتمنى رضاه ولا

يأنف من خدمته فساقه الغرور الى لقاء حتفه . وذلك انه قال يوما لجلسائه هل تعرفون أحدا من العرب تأنف أمه من خدمة أمى ، قالوا لانعلمها الا ليلى أم عمرو بن كلثوم ، قال ولم ذلك ؟ قالوا لأن أباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب وبعلها كلثوم ابن مالك فارس العرب وابنها عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي سيد قومه ، فسكت الملك على مافى نفسه وأرسل الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويأمره أن تزور أمه ليلى أمه هند بنت الحارث ،

فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة فى جماعة من بنى تغلب ومعه أمه ليلى فنزل على شاطىء الفرات . وبلغ عمرو الملك قدومه فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وأرسل الى وجوه مملكته فحضروا ودخل عمرو بن كلثوم رواق الملك عمرو بن هند ودخلت ليلى بنت مهلهل على هند قبتها (١)

---

(١) هند أم عمرو الملك هي عمة امرىء القيس الشاعر . وليلى بنت مهلهل هي بنت أخى فاطمة بنت ربيعة ام امرىء القيس الشاعر المذكور

وأمر الملك بصنع الطعام ودعا الناس اليه وقربه اليهم على باب السرادق وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه فى السرادق وأمر فقدم اليهم الشراب ، وكان قدقال لامه هند اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف فنحي عنك الخدم فاذا دنا الطرف فاستخدمى ليلى ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء ، ففعلت أمه ماأراد فلما استدعى الطرف قالت لليلى ناوليني ذلك الطبق ، فأجابتها لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها ، فألحت عليها هند ، فغضبت ليلى ونادت واذلاه يا آل تغلب ، فسمعها ولدها ابن كلثوم فثار الدم فى وجهه والقوم يشربون فعرف ابن هند الشر فى وجهه ونهض ابن كلثوم الى سيف بن هند وهو معلق فى السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه وضرب به رأس ابن هند الملك فقتله وخرج ونادى فى بني تغلب فانتهبوا جميع مافى السرادق واستاقوا نجائبه وانهزموا نحو الجزيرة ، وفى ذلك قال عمرو ابن كلثوم معلقته الشهيرة وقام بها خطيبا فى سوق عكاظ وموسم مكة ومطلعها :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

وكان بنو تغلب تفتخر بها وتعظمها جدا ويحفظها صغارهم، وكبارهم، وهم من نصارى العرب وكانت لهم شوكة وقوة، وكان عمرو بن كلثوم من الشعراء المشهورين ومن مشاهير فرسان العرب وينتهى نسبه الى تغلب بن وائل، .

وقال ابن مريم التغلبى يفخر بعمرو بن كلثوم فى قصيدة له :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم أمى أمه بموفق

فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا

فأمسك من ندمائه بالمخنق

وجلله عمرو على الرأس ضربة

بذى شطب صافى الحديدة رونق

ولما قتل عمرو بن هند الملك وانهزم ابن كلثوم بجماعته حملت الجنازة الى الحيرة ودفنت فى دير أمه، ولم يتمكن قابوس أخو عمرو من اللحاق ببنى تغلب لاخذ الثار يومئذ

وفى الاخبار التاريخية ان الخليفة العباسى هرون الرشيد خرج يوما من بغداد الى الحيرة للتنزه ولمشاهدة آثار المناذرة

التى بها وكان معه جماعة من رجال دولته منهم يحيي بن خالد البرمكي وعبدالله بن مالك الخزاعى ، فلما وصل الحيرة دخل دير هند الصغرى فرآى آثار قبر النعمان الثالث بن المنذر الرابع والى جانبه قبر بنته هند الصغرى ثم خرج الى دير هند الكبرى (أم عمرو الثالث الذى نحن بذكره) فرأى فى جانب حائطه شيئا مكتوبا فدعا بسلم وأمر بقرائته وكان فيه هذه الابيات :

ان بنى المنذر عام انقضوا — بحيث شاد البيعة الراهب
تنفح بالمسك ذفاريهم — وعنبر يقطبه القاطب
والقز والكتان أثوابهم — لم يجب الصوف لهم جائب
والعز والملك لهم راهن — وقهوة ناجودها ساكب
أضحوا وما يرجوهم طالب — خيرا ولا يرهبهم راهب
كانهم كانوا بها لعبة — سار الى أين بها الراكب
فأصبحوا فى طبقات الثرى — بعد نعيم لهم راتب
شر البقايا من بقى بعدهم — قل وذل جده جائب

فبكي الرشيد حتى جرت دموعه على لحيته وقال نعم
هذا سبيل الدنيا وأهلها ،

١٨ (قابوس)

من سنة ٥٧٨ الى سنة ٥٨٢ م

هو قابوس بن المنذر الثالث تولى بعد قتل أخيه عمرو الثالث وهو شقيقه . حكم أربعة سنين وكانت العرب تسميه فتنة العروس لضعفه ولينه . وفى أول عهده حدثت بينه وبين المنذر ملك الغسانيين حرب كان النصر فيها حليف الغسانيين

وهو الذى طلب منه كسرى أنوشروان كتابا ومترجين ليكونوا فى البلاط الملكى فأرسل له عدى بن زيد العدنانى وأخاه وكانا قد برعا فى العربية والفارسية فتقدما عند كسرى أنوشروان وصار لهما منزلة كبرى ونفوذ تام . ولعدى هذا قصة طويلة مع النعمان الثالث سيأتي ذكرها .

عاصر من ملوك الفرس كسرى أنوشروان وهرمز

الرابع . ويقول بعضهم انه رجع الى الوثنية وانه حكم ثلاثة سنين ثم تولى بعده فيشهرت (وفي رواية زيد ويقول بعضهم السهراب) وحكم سنة. والاصح ماتقدم.

١٩ (المنذر الرابع)

من سنه ٥٨٢ الى ٥٨٥ م

هو المنذر الرابع بن المنذر الثالث تولى الملك بعد وفاة أخيه قابوس . قيل انه أخو قابوس من الأب وانه كان على الوثنية . وكان يلقب بالاسود الثانى .

وفى آخر أيامه زحف بعرب العراق كلهم الى بادية الشام لمحاربة الحارث بن أبى شمر ملك غسان أخذاً بثار أبيه وكتب اليه انى أعددت لك الكهول على الفحول . فأجابه ملك غسان قد أعددت لك المرد على الجرد . وسار المنذر حتى نزل بمرج حليمة الصغير (١) فتركه من به من غسان . وسار

---

(١) ينسب الى حليمة بنت الحارث هذا ملك غسان

الحارث ونزل بمرج حليمة الكبير ثم انتشبت الحرب ودامت أياما ينتصف بعضهم من بعض فلما رأى الحارث ذلك قعد في قصره ودعا ابنته حليمة وأمرها فاتخذت طيبا كثيرا في الجفان وطيبت به أصحابه ثم نادى يافتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي حليمة ، فقال لبيد بن عمرو الغساني لابيه ياأبت أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لامحالة ولست أرضى فرسي فاعطني فرسك الزيتية ، فأعطاه فرسه فلما زحف الناس واقتتلوا شد لبيد على المنذر ملك الحيرة وضربه ضربة القاه بها عن فرسه فانهزم أصحابه في كل وجه ونزل فاحتز رأسه وأقبل به الى الحارث وألقاه بين يديه . فقال له الحارث شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها . فقال بل انصرف فأواسي أصحابي بنفسي فاذا انصرف الناس انصرفت فرجع فصادف أخا المنذر قد رجع اليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته فقدم لبيد فقتل . ثم انهزمت عساكر المنذر هزيمة ثانية وقتل منهم عدد كثير وعادت غسان بالظفر

وهذا اليوم من أشهر أيام العرب وقد فخر به شعراء غسان، ولم تقع حرب بين لخم وغسان مثل هذه لان المنذر زحف بعرب العراق كلهم ولقيه الحارث بعرب الشام كلهم فكانت حرب هائلة قتل فيها الالوف وستر الغبار الشمس،

وسمت العرب هذا اليوم يوم مرج حليمة ،

وقيل فى قتل المنذر هذا غير ماتقدم ، وهو ان الحارث الاعرج (غير بن أبى شمر : وقيل حفيد بن أبى شمر) ملك غسان [1] خطب الى المنذر ملك الحيرة ابنته وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان فزوجه المنذر ابنته هندا وكانت لاتريد الرجال فصنعت بجلدها شبيها بالبرص وقالت لابيها انا على هذا الحال وتزوجنى لملك غسان ، فندم المنذر على تزويجها فامسكها ، وارسل الحارث يطلبها فاعتذر المنذر وامتنع من ارسالها فحقد عليه الحارث وأخذ يترقب الفرص

---

(١) كان على الغسانيين يومئذ ملكان الحارث هذا وابن عمه جبلة بن الايهم. وكان الحارث يقيم في بصرى وجبلة يقيم بالبلقاء

فاتفق ان المنذر خرج غازيا فى بعض الايام فسمع الحارث فأرسل جيشاً الى الحيرة فانتهبها ، فبلغ ذلك المنذر فسار بجيشه نحو غسان فلقيه الحارث بجيوشه بمرج حليمة فاقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر بين الفريقين أياما وأخيرا حملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث وفيها ابنه فقتلوه وانهزمت الميسرة وحملت ميمنة الحارث على ميسرة المنذر فانهزم من بها وقتل قائدها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل ابن شيبان ، وحملت غسان فى القلب على المنذر فقتلوه وانهزم أصحابه فى كل وجه وقتل منهم عدد كثير وأسر منهم كثيرون منهم من بنى تميم ثم من بنى حنظلة مائة أسير ومن جملتهم شاس بن عبدة ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفد علقمة بن عبدة الشاعر [1] على الحارث يطلب اليه أن يطلق أخاه شاسا ومدحه بقصيدته المشهورة التى أولها :

---

(١) ويسمى علقمة الفحل وهو من أشهر شعراء العرب وعمر طويلا ولم يمت الا بعد ظهور الاسلام

طحا بك قلب فى الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفنى ليلى وقد شط أهلها
وعادت عواد بيننا وخطوب

ومنها :

فان تسألونى بالنساء فاننى   بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله   فليس له فى ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث وجدنه
وشرخ الشباب عندهن عجيب

ومنها :

وفى كل حى قد غبطت بنعمة
فحق لشاس من نداك ذنوب
فلا تحرمنى نائلا عن جنابه
فاني امرؤ وسط القباب غريب

فأطلق الحارث شاسا وقال له ان شئت الحباء وان شئت أسراء قومك ، فقال أيها الملك ما كنت لاختار على قومي شيئا ،

فأطلق له الاسرى من تميم وأكرمهم وزودهم وخلع على علقمة وأكرمه مالا وأبلا ، فلما وصلوا الى ديارهم اعطوا لعلقمة جميع ما كرمهم به الحارث وقالوا له أنتم السبب فى اطلاقنا فاستعن بهذا على دهرك فحصل له مال كثير ،

وكان للمنذر هذا اثنا عشر ولدا يسمون الاشاهب لجمالهم ومن جملتهم النعمان والاسود وهما أكبر أولاده ، وكان قد دفع ابنه النعمان المذكور الى عدى بن زيد العدنانى (١) الذى هو فى بلاط كسرى مترجما ليربيه من الرضاعة فما فوقها فرباه وعلمه الكتابة والعلم والادب وبقى عنده الى أن شب ، ودفع ابنه الاسود الى عدى من بنى مرينا (هو من أهل الحيرة أيضا وينتسب الى لخم) وهو أيضا فى خاصة كسرى ،

---

(١) هو من عباد الحيرة وقد أرسله قابوس بن المنذر الثالث الى كسرى مترجماً له في بلاطه

٢٠ النعمان الثالث

من سنة ٥٨٥ الى سنة ٦١٣ م

هو النعمان الثالث بن المنذر الرابع تولى الملك بعد قتل أبيه وكنيته أبو قابوس وأمه سلمي بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك . حكم ثمانيا وعشرين سنة وكان أحمر أبرش قصير القامة دميما أشقر الشعر ، وكان على دين الوثنية يذبح للاصنام بادىء بدأ ثم تنصر وأعاد النصرانية الى الملك بعد أن كان أسلافه قد نبذوها وعادوا الى الوثنية ، وقد تنصر على يد القس شمعون الحيرى ، وقيل تنصر على يد عدى بن زيد والجاثليق حبر يشوع ، وهو الذى بنى دير اللج بالحيرة ولم يكن فى ديارات الحيرة أحسن بناء منه ولا أنزه موضعا ، وفيه قال الشاعر :

سقى الله دير اللج غيثا فانه على بعده منى الى حبيب

قريب الى قلبى بعيد محله

وكم من بعيد الدار وهو قريب

يهيج ذكراه غزال يحله　　أغن سحور المقلتين ربيب
اذا رجع الانجيل واهتز مائدا
تذكر محزون وحن غريب
وهاج لقلبي عند ترجيع صوته
بلابل أسقام به ووجيب

وقيل فيه أيضا :

يارب عائدة بالغور لو شهدت
عزت عليها بدير اللج شكوانا
ان العيون التى فى طرفها مرض
قتلننا ثم لايحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به
وهن أضعف خلق الله أركانا
يارب غابطنا لو كان يطلبكم
لاقى مباعدة منكم وحرمانا

وكان يسمي فارس اليحموم واليحموم اسم فرسه وله فرس أخرى تسمى الزفوف، والنعمان هذا هو الذى بنى مدينة النعمانية

على ضفة دجلة اليمنى (الغربية) [1] وكان محبا للعمائر شهماً شجاعا كريما صادقا حازما أديبا بلغت الدولة فى أيامه منتهى الترف والرخاء وامتلأت خزينته بالذهب والجواهر ، وقصده الشعراء من بلاد بعيدة فبالغ فى اكرامهم وأجزل لهم العطاء ومن جملتهم النابغة الذبياني فانه كان مقربا عنده خاصا به لا يفارقه ، وقد مدحه بعدة قصائد منها :

أمن ظلامة الدمن البوالى ... بمرفضّ الحبيّ الى وعال
فامواه الدنا فعويرضات ... دوارس بعد احياء حلال
تابد لا ترى الا صرارا ... بمرقوم عليه العهد خال
تعاودها السواري والغوادى ... وماتذرى الرياح من الرمال
أثيث نبته جعد ثراه ... به عوذ المطارف والمتالى
فداء لامرىء سارت اليه ... بعذرة ربها عمى وخالى
ومن يعرف من النعمان سجلا ... فليس كمن تتيه فى الضلال
له بحر يقمص بالعدولى ... وبالخلج المحملة الثقال

---

(١) كانت فى جنوب بغداد وفى موضعها الآن بلدة صغيرة كانت تسمي البغيلة ثم سميت النعمانية سنة ١٣٣٢ هـ

مقر بالقصور يذود عنها   قراقير النبيط الى التلال
وهوب للمخيسة النواجى   عليها القانيات من الرجال

ومنها:

أخلاق مجدك جلت مالها خطر
في البأس والجود بين العلم والخبر
متوج بالمعالى فوق مفرقه
وفى الوغى ضيغم فى صورة القمر

وكان النعمان وأبوه قد أكرموا النابغة وشرفوه وأعطوه مالا عظيما حتى انه كان لا يأكل ولا يشرب الافى آنية من الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه، وكان من ندمائهم وأهل أنسهم. ثم وشى به بنو قريع الى النعمان وأتهموه بأمر أوجب غضب النعمان عليه وأراد البطش به وكان للنعمان بواب اسمه عصام بن شهيرة الجرمى كان يحب النابغة وقد علم بالامر فقال للنابغة ان النعمان موقع بك فانطلق، فهرب النابغة الى ملوك غسان وكتب الى النعمان يعتذر اليه ويمدحه ويهجو بنى قريع فى قصيدة طويلة منها:

أتانى أبيت اللعن انك لمتني
وتلك التى تستك منها المسامع
مقالة ان قد قلت سوف أناله
وذلك من تلقاء مثلك رائع
لعمرى وما عمرى عليَّ بهين
لقد نطقت بطلا علي الاقارع
أقارع عوف لاأحاول غيرها
وجوه قرود تبتغى من تجادع
أتاك امرؤ مستبطن لى بغضة
له من عدو مثل ذلك شافع
أتاك بقول هلهل السنج كاذب
ولم يأت بالحق الذى هو ناصع
أتاك بقول لم أكن لاقوله
ولو كبلت فى ساعدى الجوامع
حلفت ولم أترك لنفسك ريبة
وهل يأثمن ذوامة وهو طائع

فان كنت لا ذو الضغن عنى مكذب
ولا حالفى على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بشىء أقوله
وأنت بأمر لامحالة واقع
فانك كالليل الذى هو مدركى
وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن فى حبال متينة
تمد بها أيد اليك نوازع
أتوعد عبدا لم يخنك أمانة
ويترك عبد ظالم وهو ظالع
وأنت ربيع ينعش الناس سيبه
وسيف أعيرته المنية قاطع
أبى الله الا عدله ووفاءه
فلا النكر معروف ولا العرض ضائع
وتسقى اذا ماشئت غير مصرد
بزوراء فى حافاتها المسك كانع

وكتب اليه أيضا يعتذر ويمدحه :

أتانى أبيت اللعن انك لمتنى
وتلك التى أهتم منها وأنصب

وبت كأن العائدات فرشن لى
هراسا به يعلى فراشى ويقشب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عنى خيانة
لمبلغك الواشى أغش وأكذب

ولكننى كنت امرأ لى جانب
من الارض فيه مستراد ومذهب

ملوك واخوان اذا ماأتيتهم
أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم
فلم ترهم فى شكر ذلك أذنبوا

فلا تتركني بالوعيد كانني
الى الناس مطلي به القار أجرب
ألم تر ان الله اعطاك سورة (١)
ترى كل ملك دونها يتذبذب
لانك شمس والملوك كواكب
اذا طلعت لم يبد منهن كوكب
ولست بمستبق اخا لا تلمه
على شعث اى الرجال المهذب

ثم عرف النعمان ان الذى بلغه كذب فبعث اليه (انك لم تعتذر من صنحطة ان كانت بلغتك ولكننا تغيرنا لك عن شيء مما كنا لك عليه ولقد كان فى قومك ممتنع وحصن فتركته ثم انطلقت الى قوم قتلوا جدى وبينهم وبيننا ما قد علمت) ، فندم النابغة على ذهابه الى بنى غسان وخاف الرجوع الى الحيرة ثم بلغه ان النعمان أصابه مرض ثقيل

(١) سورة : منزلة

فأشفق عليه فأتاه فرآه محمولا على رجلين ينقل من قصر الى آخر فقال لبوابه عصام :

ألم أقسم عليك لتخبرنى · أمحمول على النعش الهمام
فانى لا ألومك فى دخول · ولكن ماوراءك ياعصام
فان يهلك أبو قابوس يهلك · ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش · أجب الظهر ليس له سنام

ثم دخل عليه وقبل يده واعتذر له فعفى عنه النعمان واكرمه وتقدم كثيرا عنده بعد شفاءه ، ومن شعراء النعمان حسان بن ثابت وكان يكرمه كثيرا ، وينقل عن حسان هذا قال وفدت النعمان فحسدت النابغة على ثلاث لا أدرى على أيتهن كنت أحسد أعلى دناءة النعمان له بعد المباعدة ومسايرته له واصغائه اليه أو على جودة شعره أو على مائة بعير من عصافيره أمر له بها

وكان النعمان تفده وجوه العرب فيكرمهم ودعا بحلة يوما وعنده وفود العرب من كل حيّ فقال احضروا فى غد فأنى ملبس هذه الحلة اكرمكم علىّ ، فحضر القوم جميعا إلا

اوس بن حارثة بن لام الطائي (وكان سيداً مقدماً جواداً) فقيل لاوس لم تخلفت ، فقال (ان كان المراد غيري فأجمل الاشياء بي أن لا أكون حاضراً وان كنت المراد فسأطلب) فلما جلس النعمان في قصره وحضر القوم لم ير أوسا فقال اذهبوا الى اوس فقولوا له احضر آمنا مما خفت ، فحضر فألبس الحلة، فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة هجه ولك ثلثمائة ناقة ، فقال الحطيئة كيف أهجو رجلا لاأدرى فى بيتى اثاثا ولا مالاً إلا من عنده . ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفك صالحة

من آل لام بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم بشر ابن أبى خازم أحد بنى أسد بن خزيمة أنا أهجوه لكم فأخذ الابل وهجاه ، فأغار أوس عليها فاكتسحها وطلبه فجعل بشر لايستجير حيا الا قالوا : قد أجرناك الا من اوس . ثم قبض عليه وجاء به أسيراً الى أمه (وكان فى هجائه اياه قد ذكر أمه) فقال اوس لأمه قد أتينا ببشر الهاجي لك ولي فما ترين فيه ، قالت أو تعطيني ،

قال نعم ،قالت أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه بمثل ذلك فانه لا يغسل هجائه الا مدحه ، فخرج اوس اليه وقال له ان أمى سعدى التى كنت هجوتها قد أمرت فيك بكذا وكذا ، فقال لاجرم والله لامدحت حتى أموت أحداً غيرك فعفى عنه ورد عليه ماله وأعطاه كل ماأمرت به امه ، وفيه يقول بشر :

وما وطىء الثرى مثل ابن سعدى
ولا لبس النعـال ولا احتـذاها

والنعمان هذا هو صاحب يوم السلان وذلك انه كان يجهز فى كل عام قافلة تجارية يرسلها الى سوق عكاظ[1] لتباع هناك فى الموسم . فعرضت بنو عامر بن صعصعـة لبعض

---

(١) هو أحد أسواق العرب وكان بين نخلة والطائف ومن الاسواق ذي المجاز ومجنـة ، وكان العرب يجتمعون بها كل عام اذا حضر الموسم فيؤمن بعضهم بعضا حتي تنقضي أيامها .ويحضر السوق مشاهير الشعراء والخطباء

ماجهزه فأخذوه فغضب النعمان وبعث الى أخيه لامه وهو حسان بن وبرة بن رومانس الكلبي وقيل حسان بن وبرة الكلبي والى صنائعه ووضائعه(١) وأرسل الى بنى ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم وفيهم ضرار بن عمرو الضبي فى تسعة من بنيه كلهم فوارس وحبيش بن دلف وكان فارسا شجاعا فلما اجتمعوا عنده جهز معهم عيراً وأمرهم بتسييرها وقال لهم اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الاشهر الحرم ورجع كل قوم الى بلادهم فاقصدوا بنى عامر فانهم قريب بنواحي السلان ، فخرجوا وكتموا أمرهم وقالوا خرجنا لئلا يعرض أحد لتجارة الملك ، فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم فأرسل عبدالله بن جدعان رسولا الى بنى عامر فأخبرهم الخبر فتهيؤا للحرب ووضعوا العيون . ثم التقى الجمعان بالسلان فاقتتلوا قتالا شديدا وحمل يزيد بن عمرو

---

(١) الصنائع من كان يصطنعه من العرب للغزو ، والوضائع هم الذين كانوا شبه المشايخ ،

ابن خويلد العامرى على وبرة بن رومانس أخى النعمان فأسره فلما صار وبرة فى أيديهم هم جيش النعمان بالهزيمة فنهاهم ضرار ابن عمرو الضبى وقام بأمرهم وقاتل هو وبنوه قتالا شديدا وفتك ببنى عامر فحمل عليه أبو براء عامر بن مالك وكان رجلا شديد الساعد فاقتتلا فسقط ضرار الى الارض وقاتل عليه بنوه حتى خلصوه وركب فرسه وكان شيخا فلما ركب قال من سره بنوه ساءته نفسه (فذهبت مثلا)(١) وجعل أبو براء يلح على ضرار طمعا فى فدائه وظل بنوه يحمونه فلما رأى ذلك أبو براء قال له لتموتن أو لاموتن دونك فأحلنى الى رجل له فداء ، فأومأ ضرار الى حبيش بن دلف (وكان سيداً) فحمل عليه أبو براء فأسره ، وكان حبيش اسود نحيفا دميما فلما رآه كذلك ظنه عبداً وان ضرارا خدعه فقال انا لله اعزز سائر القوم الا فى الشؤم وقعت ، فسمع ذلك حبيش

---

(١) يعنى من سره بنوه اذا صاروا رجالا كبر وضعف فساءه ذلك ،

نخاف أن يقتله فقال أيها الرجل ان كنت تريد الابل فقد أصبتها ، فافتدى نفسه بأربعمائة بعير ، ثم اشتد القتال فانهزم جيش النعمان ، فلما رجع الغل الى النعمان أخبروه بأسر أخيه وبقيام ضرار بأمر الناس وما جرى له مع أبى براء . ثم افتدى وبرة بن ردماض نفسه بألف بعير وفرس من يزيد بن خويلد وعادت العائدة فى هذه المعركة على جيش النعمان ، وتسمى هذه الوقعة عند العرب يوم السلان ، ووبرة هذا هو القائل :

مافلاحى بعد الأولى عمرو الحيـ ـرة ما أن أرى لهم من باق
ولهم كان كل من ضرب العيـ ـرة بنجد الى تخوم العراق

والنعمان هذا هو صاحب يوم طخفة أيضا وسببه هو ان الردافة (هى بمنزلة الوزارة : والرديف يجلس عن يمين الملك) كانت لبنى يربوع وبنو يربوع بطن من دنيان من العدنانية يتوارثونها صغيرا عن كبير وكانوا يتفاخرون بها ، وكانت يومئذ قد آلت الى عوف بن عتاب الرياحى . فلما تولى النعمان طلب منه حاجب بن زرارة الدارمى التميمى أن يجعلها لبنى دارم ، فوافق النعمان وطلب من بنى يربوع

الاجابة فى ذلك ، فصعب ذلك عليهم وامتنعوا وأظهروا العصيان عليه ، وكان منزلهم أسفل طخفة ، فأرسل النعمان جيوشه لقتالهم وجعل أخاه حسانا على المقدمة وجعل ابنه قابوسا على الجيش وضم اليها الصنائع والوضائع وجماعة من تميم وغيرهم ، فساروا حتى أتوا طخفة فالتقى الجمعان واقتتلوا قتالا شديدا وصبرت بنى يربوع وقاتلوا قتال الابطال وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس فعقره وأسر قابوسا وأراد أن يجزّ ناصيته فقال قابوس (ان الملوك لا تجز نواصيها) فتركه ، وحمل بشر بن عمرو بن جوين على حسان وأسره وانهزمت جيوش النعمان وجاؤا الحيرة وأخبروه بما كان ، وكان شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي عند الملك النعمان فقال له ياشهاب (أدرك ابنى وأخى فان أدركتهما حيين فلبني يربوع حكمهم وأرد عليهم ردافتهم واترك لهم من قتلوا وما غنموا وأعطيهم الفى بعير) فسار شهاب فوجدهما حيين مكرمين فاطلقهما ووفى الملك لبنى يربوع

بما قال ولم يعرض لهم ردافتهم، وفى ذلك يقول مالك ابن نويرة :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما
رأى القوم منه الموت والخيل تلجب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه
جراز من الهندى أبيض مقضب
طلبنا بها أنا مداريك نيلها
اذا طلب الشأو البعيد المغرب

وفى أيام النعمان هذا بلغت الحيرة منتهى الرقى والعمران والعز والكمال ونبغ فيها جماعة من العلماء والحكماء والفلاسفة والخطباء وتهافت اليها الادباء والشعراء . وكان مولعا بالشعر والشعراء فامر كتابه فنسخوا له أشعار العرب ودونوها فى الكراريس فجعلها فى خزائن قصره ، وكان من ندمائه وشعرائه حاتم الطائي المشهور بالكرم والجود والشعر ، وعاصر النعمان من ملوك الفرس هرمز الرابع وكسرى برويز ومات فى سجن كسرى برويز ببلدة خانقين سنة ٦١٣ م وسبب ذلك هو لما مات المنذر الرابع والد النعمان

هذا فكر كسرى فيمن يملكه على العرب من بعده. وشاور عدى بن زيد واستنصحه فى بنى المنذر . (وكان عدى فى بلاط كسرى كاتباً ومترجما هو وأخوه وهما اللذان أرسلهما قابوس بن المنذر الثالث ليكونا فى خاصة الملك)(١) وقال له هل بين أولاد المنذر من يصلح للملك، قال عدى انهم بضعة عشر رجلا كلهم أشداء فاذا أمر مولاى جئت بهم ، قال الىّ بهم فبعث يستقدمهم فحضروا ونزلوا عنده وفى نفسه أن يسهل سبيل الملك الى النعمان سراً لانه ربّى عنده ورضع فى أهله ، فخلا به وأسرّ اليه أشياء . وكان يفضل اخوة

---

(١) وكان عدي شاعرا فصيحا من شعراء الجاهلية وكان نصرانيا وكذلك أبوه وأمه وأهله فقد كانوا على دين المسيح أيضا . وأبوه زيد ابن حماد بن زيد بن أيوب من بنى امرئ القيس ابن زيد مناة بن تميم . هاجر جده أيوب من اليمامة الى الحيرة واتصل بملوكها هو وبنوه من بعده واشتهر عدي بالفصاحة والعلم والادب فقر به كسرى وولاه كتابة العربية في ديوانه

النعمان عليه ويريهم انه لا يرجو النعمان ويخلو بواحد واحد ويقول له اذا سألك الملك أتكفيني العرب فقل أكفيكهم الا النعمان . وقال للنعمان اذا سألك الملك عن اخوتك فقل له اذا عجزت عن اخوتي فأنا عن غيرهم أعجز ، وكان عدى ابن أوس بن مرينا الذي ربّا الاسود أخو النعمان في خاصة الملك أيضا وكان داهياً شاعرا وكان يقول للاسود بن المنذر قد عرفت انى أرجوك وعينى اليك وانى أريد أن تخالف عدى بن زيد فانه والله لا ينصح لك أبدا ، فلم يلتفت الى قوله . فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يحضرهم أحضرهم رجلا رجلا وسألهم كسرى أتكفونى العرب فقالوا نعم الا النعمان . فلما دخل النعمان عليه قال له أتكفيني اخوتك والعرب قال نعم وان عجزت عن اخوتي فأنا عن غيرهم أعجز ، فملكه كسرى وخلع عليه وألبسه تاجا قيمته ستون الف درهم ، فسار النعمان الى الحيرة وجلس على سرير الملك

ولما تم أمر النعمان شق ذلك على عدى بن أوس بن مرينا لانه كان يرجو أن يكون الملك للاسود ليكون له

النفوذ على يده ولا سيما انه كان قد ربّاه . فعزم على الكيد بالنعمان وبعدى بن زيد وحرض الاسود على ذلك وقال له دونك فقد خالفت الرأى أولا فحرمت من الملك فلا تخالفنى بعدها واذا فاتك الملك فلا تعجز أن تطلب بثارك من عدى ، فاتفق الاثنان على الانتقام

أما عدى بن زيد فانه أدرك استياء ابن مرينا فصنع له وليمة ودعاه الى بيته وبعد أن فرغوا من الطعام قال له انى عرفت ان صاحبك الاسود كان أحب اليك أن يملك من صاحبى النعمان فلا تلمنى على شىء كنت على مثله وأنى أحبّ أن لا تحقد علىّ وان نصيبى من هذا الامر ليس بأوفر من نصيبك . وحلف لابن مرينا أن لا يهجوه ولا يبغيه غائلة أبدا . فقام ابن مرينا وحلف انه لا يزال يهجوه ويبغيه الغوائل ، فخرج ابن مرينا ثم ذهب الى الحيرة وكان كثير المال فأخذ يتقرب من النعمان بالهدايا والتحف وكان لا يخليه يوما من هدية حتى صار من اكرم الناس عليه . فلما علت منزلته عند النعمان أخذ يسعى سرا مكرا بعدي واستمال

أصحاب النعمان بالمال فمالوا اليه وأخـذوا يروون عن لسان عدى مايوغل صدر النعمان حتى قالوا له انه يقول ان النعمان عامله وهو تحت نفوذه وانه هو الذى ولاه الملك. ومازالوا كذلك وابن مرينا يصف عديا بالمكر والخديعة حتى أضغنوه عليه وعزم على الفتك به فبعث اليه يستزيره فاستأذن عدى كسرى بذلك فأذن له فسار من المدائن الى الحيرة وهو لايدرى بما كان وما سيكون . فلما وصل قصر النعمان أمر بحبسه حالا ومنع من الدخول عليه . فعلم عدى انها وشاية فجعل يكتب الرسائل الى النعمان نظما ونثرا ومما كتبه اليه :

ليت شعرى عن الهمام ويأتيـ ـك بخير الانباء عطف السؤال
أين عنا اخطارنا المال والانفـ ـس اذ ناهـدوا ليوم المحال
ونضالى فى جنبك الناس يرمـ ـون وأرمى وكلنا غير آل
فأصيب الذى تريد بلا غـ ـش وأربى عليهـم وأوالى
ليت أنى أخذت حتفى بكفى ولم ألق ميتـة الانـذال
محـلوا محلهم لصرعتنا العا م فقـد اوقعوا الرحا بالثقال

فندم النعمان على حبسه وأراد أن يطلقه فخوفه أصحابه

منـه فأبقاه في السجن . وظل عدى فى الحبس أياما وهو يرسل القصيدة بعد الاخرى للنعمان يستعطفه فيها ويذكره حبه له واحسانه اليه فلم يجـده ذلك نفعا . فلما يئس كتب سرا الى أخيه أبى ّ أبياتا يعلمه بحاله . وكان أخوه يومئذ فى بلاط كسرى فلما قرأ الـكتاب كلم كسرى فيه فكتب كسرى الى النعمان أن يطلقه وأرسل الـكتاب مع أحد رجاله . وعلم النعمان بالرسالة قبل وصول الرسول فشاور أصحابه نخوفوه من اطلاقه وأشاروا عليه بقتله قبل وصول الرسالة والرسول فبعث اليه بعض الخدم نخنقوه ودفنوه

أما رسول كسرى فانه وصل الحيرة ومر بطريقه على السجن ورأى عديا فيــه (وكان خارج الحيرة) فبات تلك الليلة فلما أصبح دخل على النعمان (وهو لا يعلم بقتل عدى فى تلك الليلة ولا النعمان يعـلم بقـدومه بالامس) وأدى الرسالة فقال له النعمان نعم وكرامة اذهب غدا الى السجن نخذه . فذهب الرسول فى اليوم التالى فلم يره وقال له الحرس انه مات منذ أيام . فعلم انهم غدروه وقتلوه فعاد الى النعمان

وأخبره انه رآه بالامس ولم يره اليوم فرشاه النعمان بأربعة آلاف مثقال ذهب وجارية واستوثقه أن لايخبر كسرى بما جرى . وكتب الى كسرى يخبره ان عدياً مات قبل وصول الرسول وأنه متأسف عليه جدا واعتذر عن حبسه فلما عاد رسول كسرى بالجواب وقدمه الى كسرى أخبره ان الامر كما كتب النعمان فسكت كسرى واندرس ذكر عدي ولكنه شاع بين العرب غدره ثم وصلت الاخبار الى كسرى فحقد على النعمان

أما النعمان فانه ندم على قتل عدى لانه رباه وأحسن اليه وأصبح خائفا من كيد كسرى . ومضت على الحادثة مدة وضمير النعمان يوبخه على غدره بعدى فصادف انه خرج للصيد فرآى ابناً لعدى اسمه زيد فأراد أن يكرمه تكفيرا عن اساءته لابيه فرحب به واكرمه . فطلب اليه زيد أن يسعى له عند كسرى ليجعله مكان أبيه . فكتب النعمان له كتابا وسيره الى كسرى وبالغ فى ثنائه ووصفه . فلما وصل كتاب النعمان الى كسرى استخدم زيدا فى بلاطه

وقربه وكان يلي ما يكتب الى العرب خاصة . فأقام عند كسرى سنوات وتقرب اليه وأكثر من الدخول عليه وفي نفسه شيء على النعمان يضمره ويظهر الثناء عليه ويترقب الفرص . فاتفق أن كسرى احتاج الى نساء لتزويج أولاده (وكان الاكاسرة يبعثون الى ايالاتهم يطلبون نساء لهم على أوصاف مخصوصة ولكنهم لم يكونوا يلتمسون ذلك من العرب لعلمهم بتخلهم بكرائمهم) فقال زيد لكسرى اني أعرف عند النعمان ملك الحيرة من بناته وبنات عمه اكثر من عشرين امرأة قد جمعن أوصاف الجمال وهن على الصفة التي تريدها . وأثنى على جمالهن وهو يعلم ان النعمان يضن بذلك ليقع التنافر بينه وبين كسرى فيتمكن من أخذ ثار أبيه . فقال له كسرى اكتب للنعمان فيهن . قال أيها الملك ان شر شيء في العرب وفي النعمان انهم يتكرمون بأنفسهم عن العجم فانا أكره أن يتعنتهن وان قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك فابعثني وارسل معي رجلا يفقه العربية . فسيره كسرى وأنفذ معه رجلا من خاصته يعرف العربية ليسمع

جواب النعمان . فلما وصلا الحيرة دخلا على النعمان فقال
له زيد بن عدى ان الملك احتاج الى نساء لاولاده وأراد
كرامتك بصهره فبعثنا اليك ، فشق ذلك على النعمان
والتفت الى زيد وقال (امافى مها السواد وعين فارس مايبلغ
كسرى به حاجته ان الذى طلبه ليس عندى . فاعذرني يازيد
عنده) فقال زيد انما أراد الملك أن يكرمك ولو علم ان هذا
يشق عليك لم يكتب اليك به ، فأنزلهما النعمان عنده يومين
مكرمين فسأل الرسول زيدا عن معنى لفظ مها فقال يعني
البقر ، ثم كتب النعمان الى كسرى (ان الذى طلبه الملك
ليس عندى) وعاد زيد والرسول الى كسرى ودخلا عليه
وقرأ الكتاب زيد فقال يازيد أين ما كنت أخبرتنى قال
(لايخفي على الملك بخل العرب بنسائهم على غيرهم وان ذلك
لشقائهم وسوء اختيارهم وسل هذا الرسول عن الذى قاله
النعمان فاني أ كرم الملك عن ذلك) فسأل كسرى الرسول
فقال (انه قال مافى بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب
ماعندنا) فعرف الغضب فى وجه كسرى ووقع فى قلبه وقال

(رب عبد قد أراد ما هو أشد من هـذا فصار أمره الى التباب)، وبلغ النعمان هذا الكلام، وسكت كسرى على ذلك أشهرا والنعمان قد شعر بغضبه وأخذ يستعد للهزيمة لعدم قدرته على العصيان والحرب ولما يعلمه من قوة كسرى وشدة بطشه وبينما هو فى ذلك اذ جاءه كتاب كسرى يستدعيه فعلم انه انما يدعوه لقتله [1] فأخذ أهله وأمواله وسلاحه وما استطاع حمله وسار الى طيء وكان متزوجاً اليهم فطلب منهم أن يحموه بين الجبلين (أجا وسلمي) فقالوا لا يمكننا ذلك ولا حاجة بنا الى معادات كسرى، فسار حتى نزل فى ذى قار على بنى شيبان فلقى هناك هانيء

---

(١) وفى رواية انه لما أحس بغضب كسرى وعلم انه يضمر له الغدر جمع الجموع واستعد للخروج فبلغ ذلك كسرى فأعطاه الامان واكرمه وظل يسايره حتى انخدع النعمان وزالت منه الشكوك وأخلص النية فطلبه كسرى للمذاكرة فى بعض الشؤون فسار اليه فلما وصل المدائن أمر به فحبس بساباط أياما ثم أمر به فرمي بين أرجل الفيلة فرفسته حتى مات

ابن قبصة الشيباني (وقيل هانيء بن قضيبة بن هانيء بن مسعود) وكان سيداً منيعا والبيت من ربيعة . وكان للنعمان عليه فضل فرحب به هانيء وقال (اني مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي ولكنني لا أرى في ذلك نفعا لانه مهلكي ومهلكك فاذا أذنت لي فاني مشير عليك بالذهاب الى كسرى مستعطفا واحمل اليه الهدايا فاذا صفح عنك عدت ملكا والا فالموت خير من أن يتلاعب بك صعاليك العرب) فاستحسن النعمان الرأى ولكنه قال ما أفعل بحرمي . قال هانيء هن في ذمتي ولا يخلص اليهن حتي يخلص الى بناتي فقبل بذلك النعمان وأودع اهله وماله وفيه اربعة الاف شكة (الشكة سلاح الفارس كله) وتوجه الى كسرى حتى اتى المدائن فلقيه زيد بن عدى فقال له (انج نعيم ان استطعت النجاة) فقال النعمان (فعلتها يازيد اما والله لئن انفلت لاقتلنك قتلة لم يقتلها عربي قط ولالحقنك بأبيك) فضحك زيد وتوعده وقال امض قد والله آخيت لك آخية لا يقطعها المهر الارن فلما وصل النعمان الى باب كسرى بعث اليه من

قيده وأرسله مخفورا الى خانقين وحبسه فيها حتى جاء الطاعون بعد ايام قليلة فمات فيه سنة ٦١٣ م

ولما مات النعمان شاع انه قتل فى السجن فحزن عليه العرب ونقموا على كسرى وزادت الضغائن واشتدت العداوة بين العرب والفرس ولا سيما المناذرة ومن يتبعهم . اذ لم يكن العرب قبل ذلك يحبون الفرس وانما كانوا خاضعين لهم قسرا فلما فتك كسرى برويز بالنعمان تجاهروا ببغضهم وتعاضدوا عليهم وحصل بسبب قتله واقعة شهيرة بين العرب والفرس فى ذى قار انهزم بها الفرس شر هزيمة وسيأتى ذكرها . وظلت الضغائن بين الامتين حتى جاء المسلمون الى العراق للفتح فأعانهم العرب ونصروهم على الفرس

وللنابغة الذبيانى من قصيدة يرثى بها النعمان (١)

---

(١) النابغة اسمه زياد بن معاوية وكنيته أبو امامة أو أبو ثمامة . ولقب بالنابغة لطول باعه فى الشعر وهو من الطبقة الاولى المقدمين على سائر الشعراء وكان يضرب له قبة من ادم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها

الم تر خير الناس أصبح نعشه

على فتية قد جاوز الحي سائرا

ونحن لديه نسأل الله خلده

يود لنا ملكا وللارض عامرا

لك الخيران وارت بك الارض واحدا

وأصبح جد الناس يضلع عاثرا

وردت مطايا الراغبين وعريت

جيادك لايحفى لها الدهر حافرا

فأهلي فداء لامرىء ان اتيته

تقبل معروفي وسد المفاقرا

ولما قضى النعمان نحبه بنت بنته هند ديرا كبيرا في موضع نزه بالحيرة واقامت فيه الى ان ماتت بعد الفتح الاسلامي ودفنت فيه . ويسمي دير هند الصغرى . وقد اكثر الشعراء من ذكره وممن قال فيه معن بن زائدة الشيباني الامير وكان منزله قريبا منه فقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة

لدى دير هند والحبيب قريب

فنقضى لُبانات ونلقى أحبة

ويورق غصن للسرور رطيب

وتعرف هند هذه بالحرقة وهي التى دخل عليها خالد ابن الوليد لما فتح الحيرة فسلم عليها وقال لها اسلمى حتى أزوجك رجلا شريفا مسلما . فقالت ليس لى رغبة فى غير دين آبائى وأما التزويج فلو كانت فىّ بقية لما رغبت فيه فكيف وأنا عجوز هرمة أترقب المنية بين اليوم وغد . فقال سليني حاجة . فقالت هؤلاء النصارى الذين فى ذمتكم تحفظونهم . قال هذا فرض علينا أوصانا به نبينا محمد ص . قالت مالى حاجة غير هذا فانى ساكنة فى هذا الدير الذى بنيته ملاصق لهذه الاعظم البالية من أهلى حتى ألحق بهم ، فأمر لها خالد بمعونة ومال وكسوة . فقالت أنا فى غنى عنه لى عبدان يزرعان مزرعة لى أتقوت بما يخرج منها ويمسك الرمق ، فقال لها اخبريني بشيء أدركت ، قالت لقد طلعت

الشمس بين الخورنق والسدير الاّ على ما هو تحت حكمنا فما أمسى المساء حتى صرنا خولاً لغيرنا . ثم أنشأت تقول :

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا
اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فتباً لدنيا لا يدوم نعيمها
تقلّب تارات بنا وتصرف

ثم قالت اسمع منى دعاء كنا ندعوا به لاملاكنا : شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا أزال عن كريم نعمة الا جعلك سبباً لردها اليه ولا جعل لك الى لئيم حاجة، فودعها خالد وخرج فجاءها النصارى وقالوا ما صنع بك الامير . فقالت :

صان لى ذمتى واكرم وجهى
انما يكرم الكريمَ الكريمُ

والنعمان هذا هو الذي بنى قناطر النعمان قرب قرميسين . وزوجته ابنة سعد بن حارثة بن لام بن عمرو بن طريف من

طيء. وكان قد جعل لبني لام ربع الطريق الذى بينهم وبين الحيرة طعمة لهم لانهم أصهاره

٢١ (اياس بن قبيصة الطائي)

من سنة ٦١٣ الى سنة ٦١٨ م

لما مات النعمان الثالث انهزم أولاده من الحيرة خوفاً من كسرى برويز وتشتتوا فى البلاد فولى كسرى اياساً هذا ونقل الملك من لخم الى طيء .

(وطيء ولخم من أصل واحد لأن القبيلتين من بنى قحطان. وكان منزل طيء يومئذ فى أعالى نجد فى جبلى اجا وسلمى)

ولما استتب أمر اياس أمره كسرى برويز بجمع ما خلفه النعمان وارساله اليه. فبعث اياس الى هانئ بن قبيصة الشيبانى بارسال ما استودعه النعمان فأبى ذلك هانئ محافظة على العهد ورعاية للذمام . فكتب بذلك اياس الى كسرى

فغضب كسرى وكان عنده النعمان بن زرعة التغلبي عدو بني شيبان وسائر بكر بن وائل. فقال أيها الملك امهلهم حتى يقيظوا ويتساقطوا على ذى قار [١] تساقط الفراش فى النار فتأخذهم كيف شئت، فصبر كسرى حتى جاء الصيف ونزلوا المكان فبعث اليهم النعمان المذكور يخبرهم واحدة من ثلاث (اما ان يسلموا ما خلفه النعمان ملك الحيرة عندهم واما ان يتركوا ديارهم واما الحرب) . فاختاروا الحرب ، فلما بلغ كسرى ذلك أرسل لقتالهم جيشا كثيفا من الفرس مع جماعة من المرازبة [٢] ومعهم الفيلة وعقد لأياس الطائى على كتيبتى النعمان وهما الشهباء والدوسر وأرسل معه تغلب واياد ، فكانت حملة تزعزع الجبال، أما هانئ فانه جمع قومه وفرق فيهم سلاح النعمان وانضمت اليه قبائل ربيعة وغيرهم وتحالفوا واستعدوا للقتال. فلما دنت جيوش الفرس ورأى هانئ كثرتهم وعددهم عزم على الفرار ونادى يا معشر

---

(١) ذو قار ماء لبكر بن وائل قريب الكوفة بينها و بين واسط

(٢) المرازبة جمع مرزبان وهو قائد الحدود أو قائد الجيش

بكر لاطاقة لكم فى قتال كسرى فاركنوا الى الفلاة فأراد الناس ذلك فنهض حنظلة بن ثعلبة العجلى وقال ياهانىء أردت نجاتنا فألقيتنا فى الهلكة . فشجع الناس حنظلة وقطع وضن الهوادج (احزمتها) وضرب على نفسه قبة (خيمة) واقسم لايفر حتى تفرّ القبة . فتحمس الناس واستقوا ماء لنصف شهر وتهيؤا للحرب وقربت جنود الفرس واستعرت نار الحرب فكانت حرب هائلة استقتل فيها العرب وثبتوا ثباتا جميلا حتى غربت الشمس فمال الفرس الى بطحاء ذى قار خوفا من العطش . وسكن الفريقان فأرسلت اياد الى بكر ان شئتم هربنا الليلة من معسكر الفرس والتحقنا بكم وان شئتم اقمنا ونفر غداً حين تلاقون الناس . فقالوا بل تقيمون الليلة وتنهزمون اذا التقينا . وأرسلت بكر جماعة كمنوا للفرس . فلما أصبحوا حرض بعضهم بعضا والتحم القتال فخرج الكمين فشدوا على القلب وانهزمت اياد كما وعدت وانضمت الى بكر وحلفائها فانخذل الفرس وانهزموا وتبعتهم العرب

وقتلوا واسروا خلقا كثيراً منهم ولم تنفع الفرس صفوفهم وخيولهم وفيولهم وكثرة عددهم وعددهم وتمزقوا كل ممزق وغنم العرب أموالا كثيرة وخيلا وسلاحاً

وهذه أعظم وقعة انتصف فيها العرب من العجم وسميت فى تاريخ العرب بيوم ذى قار وقال الشعراء فيها واكثروا ونقمت سائر العرب على أياس لاتفاقه مع الفرس .

قيل حدثت فى السنة التى حدثت فيها واقعة بدر الكبرى (سنة ٢ : سنة ٦٢٤ م) والظاهر انها كانت بين سنة ٦١٣ وسنة ٦١٨ م فى ايام أياس على الحيرة وما قيل من انها كانت فى السنة الاولى من البعثة الموافقة لسنة ٦١٠ م فهو خطأ . وينقل أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغه خبر هذه المعركة قال (هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى نصروا

٢٢ (زاد به)

من سنة ٦١٨ الى سنة ٦٢٨ م

هو زاد به بن ماهان الهمدانى ويسميه بعضهم زادويه وبعضهم زاديه ويسميه ابن الاثير ازادبه بن ماييان الهمزانى . وقيل ابن ماهسان الهمدانى . ولاه كسرى برويز وعزل اياسا ولم نقف على سبب ذلك . وقد حكم هذا على الحيرة عشرة سنين ولم يعاصر غير كسرى برويز وليس له خبر يذكر

٢٣ (المنذر الخامس)

من سنة ٦٢٨ الى سنة ٦٣٢ م

هو المنذر الخامس بن النعمان الثالث (قتيل كسرى برويز) تولى الملك بعد زادبه الهمدانى وعادت الدولة الى أهلها وكانت العرب تسميه المغرور

والظاهر انه تولى على سرير المملكة بعد مقتل كسرى

برويز فان ابنه شيرويه قتله بعد خلعه بأيام على أثر الفتن الداخلية واسترداد الروم بلادهم التى ملكها كسرى برويز وتوغلهم فى مملكة الفرس بقيادة ملكهم هرقل حتى كادوا يقضون على مملكتهم لولا خلع برويز وانتهت حروبهم بعد قتله وصالحهم شيرويه فى هذه السنة (٦٢٨ م) بعد جلوسه على سرير مملكة الفرس . ولكن الثورات الداخلية استمرت حتى جاء المسلمون وفتحوا العراق

وملك المنذر هذا أربع سنوات فقدم عليه بطل الاسلام القائد العظيم خالد بن الوليد حين زحفه على العراق بأمر الخليفة أبى بكر فعرض عليه الاسلام أو الجزية أو الحرب فاختار الجزية وصالحه على مال يدفعه كل عام وذلك سنة ٦٣٢ م الموافقة لسنة ١٢ هـ وهى أول جزية حملت من العراق . أو أول جزية أخذت من بلاد الفرس فى الاسلام قيل كانت مائة وتسعين الف درهم وقيل مائتى وتسعين الفا وقيل مائة الف .

وفى رواية ان خالد بن الوليد سار بعدواقعة الليس (١) الى الحيرة وحمل الرجال والاثقال فى السفن فخرج مرزبان الحيرة (٢) فعسكر عند الغريين وأرسل ابنه فى جماعة من رجاله فقطع الماء عن السفن فجلست على الارض فسار خالد فى خيل نحو ابن المرزبان فلقيه على فرات بادقلى فقاتله فقتل ابن المرزبان ومن معه ثم سار نحو الحيرة فهرب منه المرزبان وكان قد بلغه موت أردشير الملك وقتل ابنه فانهزم بغير قتال ونزل المسلمون عند الغريين وتحصن أهل الحيرة فعرض عليهم المسلمون واحدة من ثلاث (الاسلام أو الجزية أو الحرب) وأجلوهم يوما وليلة فلم يجيبوهم فقاتلهم المسلمون وحصروا أشرافهم فى قصورهم حتى اشتد الامر بالناس فنادى القسيسون والرهبان يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم فنادى أهل القصور قد قبلنا واحدة . فكفوا عنهم ثم خرج اشراف المدينة ومن جملتهم عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة

---

(١) الليس قرية من قرى الانبار

(٢) قائد جيوش الحيرة وكان قد أرسله ملك الفرس للدفاع عنها

فأرسلوهم الى خالد فتكلم عنهم عبد المسيح فصالحهم خالد على مال معلوم وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ١٢ هـ وكتب لهم كتابا . ولما سار خالد الى الشام واستخلف على المسلمين المثنى بن حارثة استقام أمر الفرس نوعا فنقض أهل الحيرة العهد ونكثوا . فلما جاء سعد بن أبى وقاص الى العراق فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ملك الحيرة فانقرضت دولة اللخميين وذلك سنة ١٣ هـ : سنة ٦٣٢ م

قيل وقتل المنذر هذا بالبحرين يوم جواثا . وبه انقرضت هذه الدولة وهو آخر ملوك الحيرة وآخر من ملك من آل نصر اللخميين . وقد تولى على هذه المملكة ٢٤ ملكا منهم ثلاثة من التنوخيين مؤسسى هذه الدولة وستة عشرة من اللخميين وخمسة من الدخلاء (الحارث الكندى وأوس العمليقي وعلقمة الذميلي واياس الطائى وزادبه الهمدانى) ومدة الجميع ٤٩٤ سنة من سنة ١٣٨ الى سنة ٦٣٢ م . وقد بنت ملوك الحيرة (آل لخم) المدن الواسعة والقصور العظيمة والديرة الفخيمة التى نقشوا على جدرانها الصور البديعة

بالفسيفساء وجعلوا فى سقوفها الذهب وحولها الحدائق والانهار، وكانت دولتهم فخمة ومملكتهم ضخمة وقد نالوا من السطوة العظيمة والنفوذ مالا يناله من ملوك العرب قبلهم أحد ومما يدل على عظمتهم وبلوغهم شأوا بعيداً من الرقى والحضارة والعمران آثارهم الكثيرة من القصور الشامخة والديرة العظيمة وغيرها ونبوغ جماعة من الفلاسفة والحكماء والعلماء والشعراء فى عاصمتهم. وكانوا مرجع المستنجدين وملاذ الخائفين ومركز الشعراء والمادحين. ولهم شهرة واسعة فى العلم والادب. ومن القابهم (ذى التاج) وملك العرب وكانت القبائل العراقية وسكان الجزيرة تحت سلطتهم فى جميع مدتهم ولهم النفوذ التام عليهم. وقد شملت دولتهم معظم القسم الشمالى من جزيرة العرب وبعض جنوبيها فى عهد امرىء القيس الاول واتسع سلطانهم اتساعا كبيرا وخافتهم الملوك فى أيام سطوة الفرس وضعف الروم. وكانت بينهم وبين الروم عداوة شديدة بسبب حروبهم المتواصلة مع الغسانيين ومعاونتهم للفرس عليهم

وكانوا ملوكا مستقلين ليس لملوك الناس عليهم سوى السيادة الرسمية والمعونة والنجدة فى الحروب الخارجيـة . وتقليدهم التاج . وكانوا زينة الدولة الفارسية وأنصارها بهم يستعينون على الروم وغيرهم كما كانت الروم تستعين بالغساسنة على الفرس (ومن ذلك نشأت العـداوة بين بنى لخم وبنى غسان وتوارثها الابناء وتواصلت بينهم الحروب). وكثيرا ما كان الفرس يشاورونهم فى الامور المهمة ويمدونهم بالجنود والاموال والذخائر فى حروبهـم مع الغسانيين . ويعهدون اليهم بتربية أولادهم ويهادوهم بالهدايا الثمينة والجوارى والخيل والسلاح

وكانوا فى الغالب لا يكون حظهم من فتح البلاد الا الغنيمة والفخر لانهم كانوا اذا فتحوا مدينة بسيوفهم وكانت بعيدة عن ديارهم نهبوها وعادوا بالغنائم — وكثيرا ماتكون فتوحاتهم من نصيب الفرس ولا يكون نصيبهـم منها غير الغنائم لذلك كثرت ثروتهـم وانغمسوا بالترف . وكان بنو يربوع يتفاخرون بوزارتهم . وكانت مجالسهم غاصـة بأهل

العلم والادب ولهم مع الشعراء وقائع عديدة

ولما انقرضت هذه الدولة تفرق من بقى من آل لخم في البلاد وكان لبقاياهم ملك باشبيلية من الاندلس وهى دولة بنى عباد وأول من ملك منهم القاضى محمد بن اسماعيل ابن قريش بن عباد . ومنهم من سكن بمصر . ومن بقاهم كانت أمارة فى سفح جبل لبنان الغربى المحاذى لمدينة بيروت قيل لما قتل النعمان الثالث سار أحد أولاده بجملة من قبائل العرب ونزل بهم فى سفح جبل لبنان وسكنوه مدة وثبتت الامارة لاولاد النعمان وتوارثوها منهم الامير ظهير الدين الذى ولاه السلطان نور الدين ملك مصر والشام على سفح الجبل المذكور سنة ٥٥٦ ﻫ الموافقة لسنة ١١٦٠ م وضم اليه القنيطرة وبرج صيدا والدامور ووضع عنده فرسانا ورتب لهم راتبا وجعلهم لقتال الافرنج. ومنهم الامير بدر الدين محمد المتوفى سنة ٧٩٨ ﻫ وكلهم من نسل النعمان الثالث، وقد بقيت أكثر آثارهم فى الحيرة قائمة على وجه الدهر قرونا عديدة فكان الخلفاء العباسيين ووزراؤهم وقوادهم ووجوه مملكتهم

يشدون الرحال لمشاهدة تلك الآثار

ومن مدنهم الحيرة والانبار وبقة وعين التمر وهيت ونواحيها والنعمانية وكلها فى العراق فيما بين النهرين (دجلة وفرات) ولهم أطراف البراري الغمير والقطقطانة وحفية

الحيرة

الحيرة هى مدينـة عظيمة كانت على ضفة الفرات الغربية بقرب موضع الكوفة على ثلاثة أميال منها شمالا فى موضع يسمى النجف[1] وتقع الآن فى الجنوب الشرقي من مشهد الامام على عليـه السلام . وتسمى اليوم الجعارة وتشمل أبا صخير وما جاوره من المقاطعات الجسام ذات الثروة الوافرة ويسكنها اليوم جموع عظيمة من العرب أهل بيوت الشعر ويكثر فيها زرع الارز وكانت على نهر صغير

---

(١) ذكر بعضهم أن بحر فارس كان يتصل بالنجف المذكور وقيل كان موضع النجف بحيرة صغيرة ثم جفت

يأخذ من الفرات ويصب فى دجلة ، وكانت أطيب البلاد وأرقها هواء وأخفها ماء وأعذبها تربة وأصفاها جواً تتصل بها المزارع والجنان وتتوارد اليها المتاجر العظام برا ونهرا وترسوا عندها سفن البحر من الهند والصين وغيرهما وكانت ذات زروع عظيمة وأنهار عديدة ، يقال أول من بناها بختنصر وأسكن فيها جماعة من العرب ثم خربت . فلما نزلها مالك ابن فهم التنوخي مؤسس هذه الدولة اتخذ فيها قصرا وبستانا واقطع رجاله الاقطاع وعلى ممر الايام صارت مدينة عظيمة واتخذت منزلا لملوك عرب العراق وبنوا فيها القصور والحدائق والديرة والبساتين وحفروا فيها الانهار حتى أصبحت زينة البلاد العربية وعروس المملكة العراقية . وكانت من اكبر مدن العصور السالفة حتى قال بعض المؤرخين انها كانت نضيرة القسطنطينية يومئذ ،

اشتهر أهلها بالشجاعة والكرم والثروة والعلم وتهافت الناس اليها أيام مجدها من مدن العراق والجزيرة والشام . ونبغ فيها جماعة من الحكماء والفلاسفة والادباء والشعراء .

وكان لاهلها عناية بالعلوم والفنون والصنائع وهم أول من استنبط الخط العربى المعروف بالجزم (١) واتقن اكثرهم الفارسية والسريانية ودونو الكتب فيهما واعتنوا بعلوم الكلدان وفلسفة اليونان واقتبسوا فن البناء والتصوير من الفرس والروم حتى صار لهم فيه معرفة تامة

ومن شعرائهم أبو دؤاد الايادى . ومن شعره فى دير السوّا :

بل تأمل وأنت أبصر منى

قصر دير السوا بعين جليه

---

(١) سمى بالجزم لانه جزم أى قطع عن خط غيره . ويسمى بالخط الحيري . قال بعضهم انه مجزوم عن المسند خط حمير وقد انتقل الي الحيرة بواسطة ملوكها بنى قحطان . وزعم بعضهم ان أول من كتب الخط العربي وجزمه أهل الانبار ثم أهل الحيرة ومنها انتشر فى مشارق الشام والحجاز نشره بشر بن عبد الملك السكوني أخو اكيدر صاحب دومة الجندل . وكان هذا يأتي الحيرة فيقيم بها مدة فتعلم الخط من أهلها ثم سار الى مكة والطائف وديار مصر والشام فتعلم الخط منه وممن تعلم منه أهل تلك البلاد

لمن الضعن بالضحى واردات
جدول الماء ثم رحن عشيه
مظهرات رقماً تهال له العيـ
ـن وعقلا وعقمة فارسيه

ومنهم عدى بن زيد العبادى الشاعر المشهور قتيل النعمان الثالث. ومن شعره من قصيدة يخاطب النعمان وقد تقدم بعضها

ليت شعرى عن الهمام ويأتيـ
ـك بخير الانباء عطف السؤال
أين عنا أخطارنا المال والانفـ
ـس اذ ناهدوا ليوم المحال

ومنهم زيد بن عدي المذكور وكان هو وأبوه وعمه قد تقلدوا الترجمة فى بلاط كسرى واحدا بعد واحد وكانوا يترجمون له الرسائل العربية الى الفارسية

ومنهم الاسود بن يعفر النهشلى ومن شعره :

ومن الحوادث لا أبا لك انني
ضربت عليّ الارض بالاسداد
لا أهتدي فيها لمدفع تلعة
بين العراق وبين أرض مراد
ماذا أؤمل بعد آل محرق
تركوا منازلهم وبعد أياد
أهل الخورنق والسدير وبارق
والقصر ذي الشرفات من سنداد

ومنهم وبرة بن رومانس الكلبي . ومن شعره :

مافلاحي بعد الأولى عمرو الحيـ
رة ما أن أرى لهم من باق
ولهم كان كل من ضرب العيـ
رة بنجد الى تخوم العراق

ومنهم المتلمس ومن شعره في طرفة الشاعر

عصاني فما لاقى الرشاد وانما
تبين من أمر الغوى عواقبه

فأصبح محمولا على آلة الردى

يحج نجيع الجوف فيه ترائبه

ومنهم لقيط الايادى وكعب بن مامة الايادى وطرفة العبد وقس بن ساعدة الايادى الحكيم المشهور . ومنهم عبد المسيح ابن عمرو بن بقيلة وكان من الحكماء المشهورين وهو الذى خرج الى خالد بن الوليد من قبل أهل الحيرة لما غزاهم خالد وجرى له معه ماهو مشهور ثم صالح المسلمين على جزية سنوية . ومن شعره لما تغلب خالد على الحيرة فى خلافة أبى بكر :

أبعد المنذرين أرى سواما

تُرَوَّحُ بالخورنق والسدير

تحاماه فوارس كل حى

مخافة ضيغم عالى الزئير

فصرنا بعد هلك أبى قبيس

كمثل الشاة فى اليوم المطير

تقاسمنا القبائل من معد
كأنا بعض أجزاء الجذور

وعبد المسيح هذا هو الذى أرسل اليه كسرى برويز ليستفتيه فى رؤياه وذلك ان كسرى رأى رؤيا أزعجته وأدهشته فانشغل فكره بها وعجز أصحابه عن تأويلها فأشار عليه بعض خواصه أن يرسل الى ملك الحيرة النعمان الثالث ليوجه اليه رجلا من علمائهم فكتب كسرى بذلك فأرسل اليه عبد المسيح فأولها له أحسن تأويل فاستراح قلب كسرى وأنعم عليه

ومنهم النابغة حسان . والمنحل والنابغة الذبيانى . وهم كثيرون لايمكن احصاؤهم . وبالجملة فقد ترقى الشعر فيهم وتمكنت الحكمة منهم حتى نبغ من نسائهم غير واحدة من الشاعرات والخطيبات منهن هند الصغرى بنت النعمان الثالث . ومن شعرها بعد انقراض دولتهم :

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا
اذا نحن فيهم سوقةٌ نتنصفُ

فتباً لدنيا لايدوم نعيمها
تقلّب تارات بنا وتصرف

ومنهن خمعة ابنة الخس الايادى وكانت مشهورة بالشعر والحكمة . (واياد بكسر الهمزة وهم من معد بن عدنان) ومنهن خِرنق أخت طرفة العبد وكانت شاعرة مشهورة

وكان فى الحيرة جماعة من الزهاد والعباد انقطعوا فى الصوامع والديارات . وأشهر الديرة فيها وأفخمها دير هند الكبرى . ودير هند الصغرى . ودير حنة الذى بناه المنذر الاول لبنى ساطع (وقد تقدم ذكرهم ودير اللح الذى بناه النعمان الثالث وقد مر ذكره أيضا) ولما كان لملوكها عناية كبرى فى انشاء الديرة والقصور اقتدى بهم جماعة من وجوه مملكتهم حتى أصبح فى الحيرة ديارات كثيرة وقصور فخيمة منهم دير بنى مرينا . ودير ابن براق . ودير ابن وضاح [1] ودير الاسكون (وكان فيه قلالى وهيا كل وعليه

(١) ويسمى دير مرعبدا ايضا وهو منسوب الى مرعبدا ابن حنيف بن وضاح اللحياني

سور عال حصين وباب حديد ومنه يهبط الهابط الى غدير بالحيرة ارضه رِضرَاض ورمل أبيض وله مشرعة تقابل الحيرة لها ماء اذا انقطع ماء النهر كان منها شرب أهل الحيرة وكان فيه جماعة من الرهبان قد فتحوا صدورهم للضيوف .

ومنها دير السوَّا (أى دير العدل : لانهم كانوا يتحالفون عنده فيتناصفون) وهو منسوب الى رجل من اياد . وفيه قال أبو دؤاد الايادى :

بل تأمل وأنت أبصر منى　　قصر دير السوا بعين جليه

ومنها دير حنظلة : منسوب الى حنظلة بن عبدالمسيح ابن علقمة ابن مالك بن دبى بن نمارة بن لخم . وفيه قال الشاعر :

بساحة الحيرة دير حنظلة
عليه أذيال السرور مسبلة
أحييت فيه ليلة مُقتله
وكأسنا بين الندامى مُعمله
والراح فيها مثل نار مُشعلة
وكلنا منتقد ما خُوِّله

فما يزال عاصياً من عذّله

مبادراً قبل تلاقي آجله

ومنها دير علقمة : منسوب الى علقمة بن عدى بن الرميك بن ثوب بن أسس بن دبى بن نُمارة بن لخم . وفيه يقول عدى بن زيد العبادى :

نادمت فى الدير بنى عَلقما

عاطيتهم مشمولة عَندَما

كأن ريح المسك من كأسها

اذا مزجناها بماء السما

عَلقَم ما بالك لم تأتنا

اما اشتهيت اليوم أن تَنعما

من سره العيش ولذاته

فليجعل الراح له سُلَّما

ومنها دير المزعوق (او دير بن المزعوق) وهو قديم وفيه قال محمد بن عبد الرحمن الثروانى :

قلت له والنجوم طالعة   فى ليلة الفصح اول السحر

هل لك فى مارفيثون وفى
دير ابن مزعوق غير مقتصر
يقتص منه النسيم على طرق الـ
شام وريح الندى عن المدر
ونسأل الارض عن بشاشتها
وعهدها بالربيع والمطر
فى شرب خمر وصدع محسنة
تلهيك بين اللسان والوتر

ومنها دير مار فاثيون وقد ذكره الثروانى عند ذكر دير ابن المزعوق . ومنها دير مارت مريم وهو قديم جداً بناه آل المنذر وكان بين الخورنق والسدير وبين قصر ابى الخصيب مشرف على النجف . وفيه يقول الثرواني

بمارت مريم الكبرى وظل فنائها فقف
فقصر أبى الخصيب المش رف الموفى على النجفِ
فاكناف الخورنق والسـ دير ملاعب السلفِ
الى النخل المكمم والـ ـحمائم فوق الهُتف

ومنها دير الحريق سمى بذلك لانه احرق فى موضعه قوم ثم دفن فيه قدم من أهل من احرق هناك وعمل ديراً وهو قديم وفيه يقول الثروانى :

دير الحريق فبيعة المزعوق

بين الغدير فقبة السنيق

أشهى الىَّ من الصرَّاة ودورها

عند الصباح ومن رحى البطريق

فاغدوا نباكر من ذخائر عتبة الـ

خمَّار من صافى الدنان رحيق

ياصاح واجتنب الملام أما ترى

سَمجاً ملامك لى وأنت صديقي

ومنها دير عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة(١) وكان بظاهر الحيرة بموضع يقال له الجرعة. وكان عبد المسيح هذا قد بناه قبل الفتح الاسلامى فلما فتحت الحيرة ودخلت فى قبضة

---

(١) قيل سمى بقيلة لانه خرج يوما على قومه في حلتين خضراوتين فقالوا ماهذا الا بقيلة

المسلمين بقى فيه حتى مات . ثم خرب الدير بعد مدة فظهر فيه أزج معقود من حجارة فظنوه كنزاً ففتحوه فوجدوا فيه سرير من رخام عليه رجل ميت وعند رأسه لوح مكتوب فيه : انا عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة

حلبتُ الدهر أشطُره حياتى
ونلت من المنى فوق المزيد
فكافحتُ الامور وكافحتنى
فلم أخضع لِمُعْضِلَةٍ كؤود
وكدت أنال فى الشرف الثريا
ولكن لاسبيل الى الخلود

ومنها ديارات الاساقف . وهى قصور وقباب على نهر يسمى الغدير عن يمينه قصر ابى الخصيب وعن شماله السدير وفيه يقول على بن محمد بن جعفر العلوى الحمانى :

كم وقفة لك بالخور | نق ماتوازى بالمواقف
بين الغدير الى السدير | الى ديارات الاساقف
فمدارج الرهبان فى | أطمار خائفة وخائف

دِ منه كأنَّ رياضها　　يُكسين أعلام المطارف

وكأنما غدرانها　　فيها عشور فى مصاحف

وكأنما أغصانها　　تهتز بالريح العواصف

طرر الوصائف يلتقيـ　　ـن بها الى طُرَر المصاحف

تلقى أواخرها أوا　　ئلها بألوان الزفارف

مجرية شتواتها　　برية فيها المصائف

درية الصهباء كا　　فورية منها المشارف

وأشهر القصور فيها قصر الخورنق وقصر السدير [1] والقصر الابيض وقصر الغريين وكلها من بناء ملوكها آل لخم. وفى الخورنق يقول على بن محمد العلوى الكوفى الحمانى:

سقياً لمنزلة وطيب　　بين الخورنق والكثيب

بمدافع الجرعات من　　اكناف قصر أبى الخصيب

---

(١) هما من بناء النعمان الاول. وكان الخورنق بالقرب من الحيرة على نحو ميل مما يلى الشرق. اما السدير فكان في وسط البرية التى بين الحيرة وحدود الشام. وكان بالقرب من قصر الخورنق نهر يسمى الخورنق ايضا

دار تخيرها الملوك فهتكت رأي اللبيب
أيام كنت مع الغوا نى فى السواد من القلوب
لو يستطعن خبأننى بين المخانق والجيوب
أيام كنت وكنا لا متحرجين من الذنوب
غرين يشتكيان ما يجدان بالدمع السروب
لم يعرفا نكداً سوى صد الحبيب عن الحبيب

وفيه قال أبو العتاهية :

لهفى على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

ومن القصور المشهورة أيضا قصر أبى الخصيب وقصر ابن مازن وقصر بن بقيلة

ومن قصورها الزوراء بناه المنذر الثالث بن امرىء القيس الثالث وسماه بهذا الاسم ، واليه أشار النابغة الذبيانى بقوله

وتسقى اذا ماشئت غير مصرد
بزوراء فى اكنافها المسك كارع

وكان فيها سوق يجتمع اليها العرب كل سنة ويأتون

بالاموال والخيل والعطر والاحجار الكريمة وغيرها . وقد اشتهرت بصحة هوائها وطيب مائها حتى قالوا (يوم وليلة فى الحيرة خير من دواء سنة) ومن تأمل قصائد الشعراء التى قيلت فيها يتضح له ما كانت عليه من العظمة والعمران والحضارة الباهرة . وقد زارها الشريف الرضى سنة٣٩٢هـ فشاهد عجيب آثارها ونظم هذه القصيدة يرثيها ويرثى أربابها

ما زلت أطرب للمنازل بالنوى
حتى نزلت منازل النعمان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت
شم العماد عريضة الاعطان
شهدت بفضل الرافعين قبابها
ويبين بالبنيان فضل البانى
ورأيت عجماء الطلول من البلى
عن منطق عربية التبيان
باق بها حظ العيون وانما
لاحظ فيها اليوم للاعيان

وعرفت بين بيوت آل محرق
مأوى القرى ومواقد النيران
ومناط ما اعتقلوا من البيض الظبى
ومجرما سحبوا من المران
الهاجمين على الملوك قبابهم
والضاربين معاقد التيجان

ومنها :

من كل دار يستظل رواقها
ادماء غائبة من الجيران
ولقد تكون محلة وفرارة
لاغر من ولد الملوك هجان
يطأ الفرات فناءها بعبابه
ولها السلافة منه والروقان

وزارها جماعة من الخلفاء والوزراء والقواد والشعراء والادباء والرحالين لمشاهدة آثار ملوكها ومبانى أشرافها من القصور والديرة والعمارات ، ووصفها اكثرهم ونظموا

فيها القصائد الطوال ، وممن خرج اليها من الخلفاء هرون الرشيد والواثق بالله والمقتفى ، ومن الوزراء يحيى بن خالد البرمكى وزير هرون سوى من كان يرحل اليها للتنزه ولتغيير الهواء لعذوبة هوائها وطيب مائها ، وصارت مركزاً للخلافة فى أوائل الدولة العباسية اتخذها السفاح مدة يسيرة ثم انتقل منها الى الانبار

ومن أسمائها الحيرة البيضاء سميت بذلك لبياض جدرانها ، وأصل لفظة الحيرة سريانى معناه الحصن لذلك كانوا يسمونها حيرة النعمان أو حيرة المنذر أى حصنه ، والنسبة اليها حاريّ وحيرى ، وكان أهلها قبل الاسلام أخلاطاً من أمم شتى اكثرهم من العرب وأشهرهم اياد والعباد ، اما اياد فانهم من العدنانيين ، وكان سبب هجرتهم من تهامة الى العراق حرب وقعت بينهم وبين ربيعة ومضر فغلبوا على أمرهم ، فجاؤا الى العراق ونزلوا قرب مكان الكوفة واختلطوا بأهل الحيرة وسكنها اكثرهم ، واما العباد فقيل هم من العدنانيين أيضاً وقيل من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على

النصرانية فى الحيرة فسموا بالعباد ، وقيل سموا بالعباد لان اكثر أسمائهم كانت عبد الله وعبد المسيح وعبد يسوع وما شابه ذلك ، ولهؤلاء شأن فى تاريخ العراق قبل الاسلام وبعده وكانت لهم بيعة كبرى فى الحيرة ونبغ منهم جماعة من الحكماء والشعراء (١)

وذكر المؤرخون أن أهل الحيرة كانوا ثلاثة أصناف ثلث من تنوخ الذين كانوا مع مالك بن فهم مؤسس الدولة وكانوا يسكنون المظال وبيوت الشعر فى غربى الفرات ما بين الحيرة والانبار ، وثلث العباد وهم الذين سكنوا الحيرة نفسها وابتنوا المنازل فيها لسكناهم وهم من قبائل شتى تعبدوا لملوكها وأقاموا فيها ، وثلث الاحلاف وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها وهم ليسوا من تنوخ ولا من العباد ،

ولما عمرت الكوفة سنة ١٧ هـ فى عهد الخليفة عمر ابن الخطاب أخذت الحيرة بالانحطاط أولا فأول ومع ذلك

---

(١) قيل أنهم تنصروا بكثرة التردد الى بلاد الروم للتجارة فلما تنصروا سموا العباد (بكسر العين وتخفيف الباء)

فقد قاومت الدهر الى أيام الخليفة المعتضد العباسى المتوفى سنة ٢٨٩ هـ فاستولى عليها الخراب (بعد ان نبغ منها جماعة من العلماء والادباء والشعراء فى عهد الامويين والعباسيين) وصارت قرية حقيرة يسكنها بعض الفقراء فلما انقرضت الدولة العباسية من العراق سنة ٦٥٦ هـ على يد هولاكو خربت تماماً ولم يبق فيها الا الاطلال ولا تزال كذلك حتى اليوم

الانبـار

هى مدينة عظيمة قديمة كانت على شرقى نهر الفرات غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ ، قرب مخرج نهر عيسى قيـل بنيت فى عهد بختنصر ثم خربت بجددها سابور ذو الاكتاف ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور ، قيل سميت بالانبار لان الملوك الاكاسرة كانوا يخزنون فيهـا الطعام، وقيل سميت بذلك لكثرة ما كان فيها من العرب ،

وفتحت على يد خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر سنة ١٢ هـ ثم جددها أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين سنة ١٣٦ هـ وسماها الهاشمية وبنى بها القصور وسكنها حتى

مات، وبقيت عامرة الى آخر أيام العباسيين ، واليها ينسب جماعة من العلماء والكتاب والشعراء والادباء وأهل الفن ، ومنها انتشرت الكتابة العربية فى العرب قبل الاسلام وأول من خط بالعربى مرامر بن مرة الانباري

بقة

بلدة قديمة كانت قرب الانبار، على شاطىء الفرات ، يقال ان سابور ذو الاكتاف نقل العرب من الانبار اليها، فتحت يوم فتحت الانبار على يد خالد بن الوليد

عين التمر

بلدة قديمة كانت قرب الانبار غربى الكوفة، وبالقرب منها موضع يسمى شفاتا (وتسمى الآن شثاثه وهي اليوم بليدة صغيرة مشهورة بكثرة التمر ورداءة الهواء) منها كان يجلب التمر الى سائر البلاد وهو بها كثير جدا وهي على طرف البرية

فتحها خالد بن الوليد عنوة سنة ١٢ هـ فى خلافة أبى بكر

فسبي نساءها وقتل رجالها فمن ذلك السبي سيرين أم محمد ابن سيرين

هيت

بلدة على الفرات فوق الانبار فتحت سنة ١٦ هـ أرسل اليها سعد جيشا ففتحها ، قيل سميت باسم بانيها هيت بن البلندى ويقال السبندى بن مالك من نسل ابراهيم ع . وبالقرب من هذه البلدة عيون القار ومعادن مختلفة أخرى

النعمانية

بلدة على الشاطئ الغربى من دجلة بناها النعمان الثالث فى جنوب بغداد وفى موضعها الآن بلدة صغيرة كانت تسمى البغيلة ثم أعيد اليها اسم النعمانية سنة ١٣٣٢ هـ بأمر من الحكومة العثمانية ولكن العامة ظلوا يسمونها البغيلة فلما احتلتها الجنود البريطانية سنة ١٣٣٥ هـ ظل اسم بغيلة عليها، وهي بين بغداد وكوت الامارة وتبعد عن بغداد ١٨ ساعة

* * *

أما القُطقطانة (أو القُطقطانية) والغمير وحفية فكانت هذه مقاطعات جسام لملوك الحيرة وحدوداً بينهم وبين الفرس ، وسميت هذه بأسماء العيون التي كانت بها

مأخذ هذا الكتاب : معجم البلدان ، الكامل لابن الاثير ، طبقات الامم ، العرب قبل الاسلام ، تاريخ احمد رفيق التركي ، لقطة العجلان ، تاريخ ابن الوردى ، تاريخ الامير احمد حيدر ، نهاية الأرب ، ديوان النابغة الذبيانى ، تاريخ دول الاسلام ، العرب وأطوارهم ، صناجة الطرب ، بلوغ الارب ، معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية ، تاريخ القرمانى ، سبائك الذهب ، تاريخ الطبرى ، دائرة المعارف